

د. كاظم حبيب

## محن وكوارث المكونات الدينية والمذهبية في ظل النظم الاستبدادية الحاكمة بالعراق!



انجزت هذه الدراسة بهدف عقد مؤتمر خاص لمناقشة أوضاع أتباع المكونات الدينية الأخرى

المضطهدة بالعراق بمشاركة

المنتدى العراقي لمنظمات حقوق الإنسان

هيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب في العراق

منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في العراق، ألمانيا (أمرك)

برلين – بغداد

2018

لوحة الغلاف الأول للفنان التشكيلي الفقيه السيد داود سلمان عناد، وكانت هديته للمؤلف  
بمناسبة بلوغه أـ 75 سنة.

لوحة الغلاف الأخير للفنانة التشكيلية السيدة نسرین حنا شابا

## الفهرست

1	محن وكوارث المكونات الدينية والمذهبية في ظل النظم الاستبدادية الحاكمة بالعراق!
2	الفهرست.....
5	الإهداء وتنشيط الذاكرة الجمعية.....
7	المدخل.....
7	مواقف الحكام وشيوخ الدين المسلمين من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى بالعراق.....
22	مفهوم الإبادة الجماعية.....
26	الفصل الأول: العراقيون اليهود.....
33	الفصل الثاني.....
33	الكوارث وحرب الإبادة ضد الآشوريين والكلدان والسريان بتركيا والعراق.....
40	الفصل الثالث.....
40	العراقيون الأرمن.....
45	الفصل الرابع.....
45	العراقيون الإيزيديون (دسنايا).....
54	الفصل الخامس.....
54	العراقيون المندانيون.....
64	الفصل السادس.....
64	محن وكوارث الشبك بالعراق.....
70	الفصل السابع.....
70	العراقيون الزرادشتيون.....
82	الفصل الثامن.....
82	العراقيون البهائيون.....
86	الفصل التاسع.....
86	العراقيون اليارسانيون (الكاكائيون).....
90	الفصل العاشر.....
90	الاستنتاجات والمعالجات.....
90	أولاً: الاستنتاجات.....
93	ثانياً: سبل معالجة التجاوز على حقوق المكونات الدينية والمذهبية بالعراق.....
95	المراجع والمصادر.....
95	الكتب والمواقع الإلكترونية.....

98	الوثائق والتقارير.....
99	كتب ومواقع بلغات أجنبية.....

## الإهداء وتنشيط الذاكرة الجمعية

إن لم تستطع قول الحق، فلا تصفق للباطل!!

متولي الشعراوي

إلى من هم جزء أصيل من هذا الوطن، إل مواطناتنا ومواطنينا الذين يعيشون على هذه الأرض الطيبة منذ قرون، إلى من عانى من ظلم النظم السياسية والاجتماعية الحاكمة بالعراق على مدى تاريخ العراق الطويل، إلى أخواتي وإخوتي من اتباع الديانات العديدة بالعراق من غير المسلمات والمسلمين، الذين تعرضوا، إضافة إلى الظلم والاضطهاد والحرمان العام، إلى عمليات التمييز والتهميش والإقصاء، الذين عانوا ويعانون اليوم أيضاً من حيف وظلم ناتج عن تسجيل عبارة جوفاء تقول "الإسلام دين الدولة"، والدين بشخصيتها المعنوية لا دين لها، حيث بدأت بها عمليات التمييز أيضاً ضد مواطنات ومواطني العراق الجديد من يهود ومسيحيين وإيزيديين ومندائيين وشبك وكاكائيين وبهائيين وزرادشتيين، منذ أن تأسست الدولة العراقية الحديثة في العام 1921 حتى الوقت الحاضر.

لم يكن التمييز الديني والمذهبي والظلم والإساءة الشديدة لكرامة الإنسان نتاج الكراهية الدينية والمذهبية فحسب، بل كانت، وبالأساس، غطاء لممارسة الاستغلال والقهر والاستعلاء القومي والديني على الآخرين، على الذين شكلوا بالعراق "أقليات" دينية وقومية، من جانب النظم الحاكمة ومن جزء غير قليل من الأكثرية المسلمة.

كان التمييز، بمختلف صورته، ممنهجاً ومنظماً ومكرساً من جانب النظم الحاكمة في الدستور والقوانين المعمول بها أولاً، وفي الممارسة الفعلية في الحياة اليومية على مستوى الدولة بسلطاتها الثلاث ومؤسساتها ونخبها الحاكمة وأغلبية موظفيها والعاملين فيها ثانياً، ولكن ممارسة التمييز لم تقتصر على الجانب الرسمي فحسب، بل مرس، وما يزال، في الواقع اليومي من جانب الكثير من الناس، ولاسيما الجماعات الدينية والمذهبية المتزمتة والمتعصبة من جهة، ومن المؤمنين بالدين الإسلامي غير المتنورين والجهلة الذين تربوا على ثقافة شيوخ الدين غير المتنورين والكارهين لاتباع الديانات الأخرى، أو ما سجل وثقف به في المناهج التعليمية التي تربي عليها الأطفال والشبيبة، المليئة بالكراهية والحط من قيمة الإنسان الآخر، لأنه من اتباع دين أو مذهب آخر، أو من قومية أخرى، أو بسبب لونه أو لغته، إضافة إلى التمييز الشامل ضد المرأة.

لقد كان التمييز واحداً من أدوات بث الفرقة في صفوف الشعب على أساس الدين أو المذهب أو القومية من جهة، وفرض الهيمنة على كل المجتمع من جهة أخرى، وتسويغ التمييز ضد اتباع الديانات الأخرى بذريعة وجودها في كتاب المسلمين، في القرآن أولاً، وفيما نسب إلى النبي محمد والصحابة ثانياً، وما أضيف إلى الشريعة الإسلامية من قبل شيوخ الدين المسلمين من مختلف المذاهب.

لقد عانى أتباع الديانات الأخرى بالعراق لا من حكام العراق وشيوخ الدين فيه فقط، بل وكذلك من حكام وشيوخ الدين المسلمين بالدول المجاورة للعراق دون استثناء من خلال تدخلهم المباشر بالشأن العراقي أو

حث وتشجيع الحكام العراقيين والمرجعيات الشيعية والمؤسسات الدينية السنية والمجتمع على ممارسة التمييز والعمل المنظم للخلاص من وجودهم بالعراق.

إن هذا الكراس الصغير يتضمن محاولة ذات عدة أهداف:

أولاً: تأكيد عدم وجود أي سبب إنساني يدعو إلى تشكيل نظرة دونية أو تمييزية إزاء الآخر من جانب أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، بل كلهم سواسية، ومن حق الإنسان الإيمان بهذا الدين أو المذهب أو غيرها أو عدم الإيمان أصلاً بأي دين أو مذهب. وهذا الحق مكفول بالوثائق الدولية الصادرة بشأن حقوق الإنسان. أي أن التمييز لا أساس موضوعي له، بل يمارس لتحقيق جملة من الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تغلف بقشرة الدين.

ثانياً: فضح الممارسات اللإنسانية، ومنها التمييز والتهميش والاقصاء والتعذيب والاعتقال والسجن والقتل والتشريد والتهميش أو فرض الدخول في الإسلام على من هم من غير المسلمين التي تعرض لها أتباع الديانات والمذاهب الأخرى على أيدي الدول العربية والفارسية والعثمانية التي حكمت العراق منذ مئات السنين ومنذ ظهور الإسلام والهيمنة على شعوب وثروات الدول والأقاليم الأخرى بذريعة "الفتح الإسلامي!"، ومنذ نشوء الدولة العراقية الحديثة أيضاً.

ثالثاً: المطالبة الجدية والمستمرة بإلغاء كل النصوص والقوانين والنظم والتعليمات والمناهج الدراسية والكتب الدينية التي تعرض على الكراهية والحقد وتشجع على التمييز والقتل لغير المؤمنين بالإسلام. أي العمل على تحقيق التنوير الديني والاجتماعي في المجتمع العراقي، والتثقيف بحقوق الإنسان وممارستها فعلاً.

رابعاً: الدعوة إلى تكريس مبادئ المواطنة والمساواة والأخوة بين جميع الناس بالعراق، بغض النظر عن دينهم ومذهبهم وعقيدتهم وقناعاتهم الفلسفية وقومياتهم أو لون بشرتهم أو لغتهم أو جنسهم (إنثاءً وذكوراً)، والالتزام الكامل بمبادئ وشرعة حقوق الإنسان المقررة دولياً.

خامساً: تقديم الدولة العراقية بسلطاتها الثلاث الاعتذار الرسمي والشعبي لكل المكونات الدينية والمذهبية التي تعرضت لشتى صور التمييز والاضطهاد. فقد جرى كل ذلك باسم الشعب، والشعب من حيث المبدأ منه براء. وفي حالات معينة وكثيرة يستوجب تعويضهم، ولاسيما بسبب معاناتهم خلال العقود الأخيرة وخاصة منذ قيام النظام السياسي الطائفي المحاصصي وما تسبب به من عواقب على العراق كله وعلى أتباع الديانات والمذاهب الأخرى على نحو خاص. فقد مورست سياسات الإبادة الجماعية ضد الكرد وضد عرب الجنوب وضد أتباع الديانات الأخرى، وهو ما ينبغي أن يدان ويشجب بقوة.

سادساً: يتحمل الشعب العراقي كله، ولاسيما القوى المدنية الديمقراطية العلمانية، مسؤولية كبيرة في تحقيق هذه الأهداف لخير شعب العراق ووحدته وازدهاره وضمان تقدمه في التنمية الاقتصادية والبشرية.

د. كاظم حبيب

برلين - بغداد في 2018/06/02

## المدخل

### مواقف الحكام وشيوخ الدين المسلمين من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى بالعراق

إنه لا يكفي أن تصف موج البحر، وظهور السفن، حين تريد أن تتكلم عن حياة البحر.. لا بد لك أن تفهم ما في القاع.. قاع البحر المليء بالغرائب والتيارات والوحوش... وقاع السفينة حيث يجلس عبيد وملاحون إلى المجاديف أياماً كاملة، يدفعون بسواعدهم بضائع تحملها السفن، وثروات وركاباً.. وينزفون عراقاً، وتتمزق أجسامهم تحت السياط.. أجل، ينبغي أن تعطيني صورة كاملة، عندما تريد أن تقنعني بأمر من الأمور".  
أبن خلدون (المقدمة)

لا أدافع من حيث المبدأ عن كل الديانات والمذاهب، لا أدافع عن هذا الدين أو ذاك، ولا عن هذا المذهب أو ذاك، كما لا أطرح هنا صواب أو خطأ ما ورد لدى هذه الديانات والمذاهب من معتقدات وطقوس وتقاليد، فهي من مهمات نقد الديانات والمذاهب، وهذه الدراسة المكثفة لا تقع في هذا المجال، بل أدافع هنا بلا هوادة عن حق الإنسان، أينما كان وفي أي زمان، وحرية التامة في الاعتقاد وفي تبني هذا الدين أو ذاك، أو هذا المذهب أو ذاك، أو هذه الفلسفة أو تلك، أو أن يكون الإنسان بلا دين أو مذهب. إنه حق ثابت من حقوق الإنسان الذي لا يجوز المساس به بأي حال. لقد ناضلت البشرية عشرات القرون لتكريس هذا الحق والتمتع بهذه الحرية، فلا يجوز التفريط بهما أو السماح بالتجاوز عليهما!  
كاظم حبيب

يعتبر العراق واحداً من البلدان الكثيرة بمنطقة الشرق الأوسط ذات القوميات والأديان العديدة والمذاهب المتعددة. وهذه الظاهرة الإنسانية ليست جديدة بالعراق ودول منطقة الشرق الأوسط، بل هي قديمة قدم "بلاد ما بين النهرين" أو "ميزوبوتاميا"، وقدم منطقة وحضارات دول الشرق الأوسط. وهي ظاهرة صحية وعامل غنى ثقافي واجتماعي وإبداعي، إن أحسن استخدامها والاستفادة الواعية والمسؤولة من جانب مكونات شعوب هذه المنطقة القومية والدينية والمذهبية، أيًا كان حجم أو عدد أتباع كل من هذه الجماعات. ومن يتمعن في هذه المكونات أو المجموعات السكانية، سيجد إن بعضها يعيش بالعراق منذ آلاف السنين، وبعضها

الآخر منذ مئات السنين، وإنها جميعاً، دون استثناء، قد تركت بصماتها الثقافية، ومنها الدينية، والاجتماعية، والفنية على حضارة العراق قديماً وحديثاً، وعلى البنية الثقافية والإبداعية والاجتماعية، إضافة إلى الكثير من القيم والمعايير والتقاليد والعادات لسكان العراق، مع احتفاظ كل منها ببعض خصوصياته. واستمرار وجود هذه المكونات بالعراق يجسد في الواقع ثلاث مسائل جوهرية، رغم ما مرّت به هذه المكونات القومية والدينية والمذهبية من صعوبات جمة، ونكبات ومآسي وحروب كثيرة، وعرفت نظماً سياسية استبدادية وسياسات قمعية، واضطهادات رهيبية، نشير هنا إلى أبرزها:

1. تميز المجتمع العراقي باعترافه بتنوع مكوناته وقبول بعضه للبعض الآخر، بل حتى أحياناً غير قليلة استعداد بعضه الدفاع عن البعض الآخر اثناء الملمات، أو بروز حاجة لإعلان وممارسة التماسك المشترك.
2. التمسك الشديد لأتباع القوميات والأديان والمذاهب بما ينتسبون إليه، ويؤمنون به، رغم كل المصاعب والمحن التي مروا بها، والتي اقترنت بمحاولات ظالمة، مشحونة بالحق والكراهية، لتغيير انتماءاتهم وقناعاتهم وإيمانهم. وهي ظاهرة ما تزال حاضرة حتى الآن.
3. كما إن سياسات وإجراءات الاضطهاد والإمعان في التمييز والتهميش من جانب النظم والحكومات والكهنة وشيوخ الدين كانت تحقق الكثير من العواقب السلبية والمؤذية وغير الحميدة، ولكنها كانت في غالب الأحيان، تحصد العكس من جانب أفراد المجتمع، إذ يزداد التشبث بدينهم أو قوميتهم وعلاقاتهم التضامنية، وبالوطن، وهو أمر مفهوم. حتى من كان يجبر على التنازل عن قوميته أو دينه أو مذهبه أو فكره، يكون الأمر شكلياً وتحت الإرهاب الفكري والعملي، أو من كان يجبر على الهجرة والعيش في الشتات العراقي..

ورغم ذلك فهذا الواقع لم يساعد المجتمع العراقي على الاحتفاظ بواحد من مكوناته الدينية التاريخية التي يعود عمره بالعراق إلى أكثر من 2700 سنة، والمقصود به "المكون اليهودي" الذي تعرض للتهجير القسري بشتى السبل، ولاسيما منذ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين، وهو ما سنعالجه في فصل خاص.

واليوم يواجه العراق مخاطر جادة وشاخصة تشير إلى احتمال خسارة مكونات قومية ودينية أخرى، وهو الأمر الذي يضع المجتمع العراقي أمام مسؤولية مواجهة المشكلة الكبيرة والتصدي لها والبحث فيها دون كلل أو ملل، باتجاه العمل على إزالة جميع العوامل المسببة لها.

لقد مرّت بالعراق الكثير من الأقوام والجماعات البشرية، بعضها استوطن البلاد، وبعضها الآخر حلّ ضيفاً على سكانها ثم غادرها، ولكن، كلهم دون استثناء، تركوا بصماتهم على الإرث الحضاري، الثقافي والفني والاجتماعي، ومنه الديني والفلسفي، لشعوبهم على سكان هذه الأرض الطيبة، فتلاقحت فيما بينها وشكلت النسيج الثقافي والاجتماعي والفني العراقي الراهن، مع احتفاظ العديد من القوميات وأتباع الأديان والمذاهب بخصائص وسمات ثقافية واجتماعية وطقوس دينية ومناسبات يتميزون بها عن غيرهم، إضافة إلى الميزات والسمات والمناسبات المشتركة. ولولا هذا التنوع الثقافي والاجتماعي الإنساني لما حقق العراق حضارته القديمة، التي يعتز بها العالم كله ويجلها، ولما ساهم في بناء هذا التراث الأصيل والجميل الذي تعزّز به

الغالبية العظمى من بنات وأبناء العراق الذين يعترفون ويحترمون الإنسان، كقيمة أساسية بحد ذاتها، وبتنوعه القومي والديني والمذهبي، وهو السبيل الوحيد لتأمين التقدم والتطور والازدهار لبلدنا.

ولكن هذا العراق ذاته شهد أيضاً، وعلى امتداد تاريخه الطويل، نزوعاً لدى الحكام المسلمين، سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب، والغالبية العظمى من رجال الدين، سواء أكانوا من هذا المذهب أو ذاك، صوب رفض التنوع وعدم احترام الآخر، واعتباره من درجة أدنى، وتمييزه وتهميشه أو حتى إقصاءه، مما عرض البلاد إلى الكثير من المحن والمصائب والكوارث، وأدى بالكثير من البشر إلى الموت أو السجن والتعذيب أو الهجرة القسرية، التي كان في المقدر تجنبها، لولا ذلك الإصرار على رفض ومعاداة الآخر.

تؤكد الكثير من الكتب الصادرة في فترات مختلفة من تاريخ العراق "الإسلامي" معاناة أتباع الديانات والمذاهب الأخرى من غير المسلمين من سياسات وممارسات التمييز وعدم المساواة الفعلية والظالمة في التعامل اليومي الذي يُحوّل حياة الناس إلى جحيم لا يطاق. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يمكن إيراد حادثتين تكشفان عن جوهر الموقف الناشئ من عقلية التمييز لدى غالبية، إن لم نقل جميع، الحكام المسلمين وشيوخ الدين المسلمين، إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى.

الحالة الأولى: أورد الدكتور عبد العزيز الدوري (2010-1919م) في كتابه "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري" مقتطفاً منقولاً عن القفطي في كتابه "تاريخ الحكماء" ليدلل على شمول عناية الوزير علي بن عيسى (334-245هـ) بالقرى والأرياف وتأمين الرعاية الصحية لها، إذ كتب الأخير في عام 301 هجرية إلى الطبيب سنان بن ثابت (توفى 975م) ما يلي:

'فكرت فيمن بالسواد من أهله، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء، فتقدم... بإنفاذ متطبين وخرانة من الأدوية والأشربة يطوفون في السواد، وقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره. ولما وصل الأطباء إلى سورا ونهر الملك وجدوا أن أكثر السكان يهود. فاستفسر سنان من الوزير عن رأيه في معاملتهم وأوضح أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملّي والذمي. فكتب علي بن عيسى: "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به، معالجة الناس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمة، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم. فاعمل... على ذلك"<sup>1</sup>. ورغم ما يملكه الدكتور عبد العزيز الدوري من حس مرهف للكلمة، فإنه لم ينتبه، في أحسن الأحوال، أو على الأقل، لم يشير بأي شكل إلى الموقف الفكري الخاطئ والتمييز المجحف والصارخ الذي تجلّى في خطاب علي بن عيسى، والذي كان يمارس من قبل الحكام وولاة وأمراء الدولة العباسية حينذاك، وكأن التمييز بين الناس، بين المسلمين وغير المسلمين، مسألة طبيعية واعتيادية حتى في مجال العلاج الطبي. ويؤكد هذا النص الموقف الديني المتمزمت للوزير علي بن عيسى إزاء أهل الذمة، إذ أنه وضعهم في طبقة تقع بين المسلمين والبهائم، بدلا من أن يكتب إليه مشيراً بأن المعالجة تتم لمن هو أكثر حاجة إليها من البشر القاطنين في السواد. فمن يقرأ النص يلاحظ بوضوح ما يلي:

---

الدوري، عبد العزيز، دكتور، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 286/287.

1- إن علي بن عيسى قد وضع أهل الذمة مع البهائم بقوله: "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب"، في حين لم يسأل الطبيب سنان عن البهائم وأشار في رسالته إلى إن البيمارستان يعالج الملى والذمي على حد سواء .

2- وميّر علي بن عيسى بين المسلمين وأهل الذمة، وكانوا يهوداً، بتفضيل معالجة المسلمين أولاً، ثم معالجة الذميين ثانياً، وأخيراً معالجة البهائم، في حين كان تصرف البيمارستان سليماً، حين كان يعالج الجميع دون تمييز وفقاً لحالة المرضى ومدى حاجتهم للإسعاف والمعالجة العاجلة، وهو فارق مهم وكبير بين تفكير السياسي المتحيز والمتعصب والخطئ وغير العقلاني، وبين تفكير الطبيب العالم الذي لا يميز بين المرضى. وكان من الأفضل للطبيب ألا يواجه سؤالاً بهذا الصدد إلى علي بن عيسى، بل أن يتصرف كطبيب يدرك واجبه ويقدم الدواء لمن هم أحوج إليه من غيرهم.

3- واعتبر علي بن عيسى في رسالته أن المسلمين هم من الطبقة الأولى والأعلى، ثم تليهم طبقة الذميين، فالطبقة التي تليهم هي طبقة البهائم!

وكان هذا التمييز موجوداً وملموساً لدى الغالبية العظمى من المسؤولين والكثير من علماء الدين والقضاة والقادة العسكريين في تلك العهود، ويتضمن في الوقت نفسه محاولة للضغط على أهل الذمة لتغيير دينهم والتحول إلى الدين الإسلامي.

لم يكن العهد العباسي كله بهذه الصورة الموحشة بالنسبة للمسيحيين، إذ كانت الفترة التي عاشها المسيحيون في خلافتي الأمين والمأمون مثلاً، حتى قبل ذلك، باعتبارها الفترة الذهبية للمسيحيين، كما أطلق عليها الدكتور موفق فتوحى<sup>2</sup>.

الحالة الثانية: أمر الخليفة العباسي أبو الفضل جعفر المتوكل على الله (822 - 861م) بتنفيذ إجراءات تميز بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وكانت تستهدف جميع من كان يطلق عليهم بالذميين مباشرة. وبذلك يكون قد أعاد هذا الخليفة تطبيق الشروط العمرية (شروط الخليفة عمر بن الخطاب)، إزاء الذميين وأضاف إليها ما يزيد من محتنتهم والإساءة لهم:

"\* \* \* تغيير أزياء الذميين بلبس الغيار وشد الزنار، \* \* \* حظر دق النواقيس أو الجهر بالتراتيل، \* \* \* عدم تجاوز مباني المسلمين في العلو، \* \* \* التستر في الجنائز وعدم الجهر بالندب والنياحة، \* \* \* حظر ركوب الخيل. ويباح للذميين ركوب الحمير والبغال، \* \* \* يلزم أن يكون الركاب من خشب، وأن يتخذ البرذع بدلا من السرج. وقد اضاف المتوكل، على أهل الذمة، شرطا جديداً على الشروط العمرية هو: \* \* \* حظر التسمي بأسماء المسلمين أو التكني بكناهم او التلقّب بألقابهم.<sup>3</sup>

2 أنظر: موفق فتوحى، دكتور. مسيحيو العراق عبر التاريخ، الجزء الأول والثاني. نشر في موقع منتديات كرملش لك. بتاريخ 2009/2/9.

3 وردني التعليق التالي من الأستاذ هامبرسوم أغباشيان بشأن ما كان يجري للمسيحيين، ومنهم الأرمن، في الدولة التركية الحديثة: تعليق: من القوانين التي سنّها عصمت اينونو خليفة أتاتورك هو قانون املاك الاقليات غير المسلمة حيث فرضت ضرائب عالية على املاكهم ولأجل تسديدها كان عليهم اما ان يبيعوا املاكهم او يسجنوا وادي ذلك الى افلاس الكثيرين منهم. اما بالنسبة للكنائس فلقد تم تحويل العديد من الكنائس الى جوامع، ويا ليت لو حولوا كل الكنائس

كما أدت إجراءات المتوكل الى تهديم خمس كنائس بالبصرة، وسويت بعض المقابر المسيحية بالأرض لكي لا تعلق قبور النصارى على قبور المسلمين. "وأوغل المتوكل في مظالمه حين فرض ضريبة العشر على منازل اهل الذمة وبنى بعض المساجد على أنقاض الكنائس".<sup>4</sup>

إلى القارئات والقراء الكرام نص العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب بشأن الموقف من أهل إيليا:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين عمر، أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ومقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدّها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن على أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعتهم وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه، فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. كتب وحضر سنة خمس عشرة.»<sup>5</sup> ومنه يتبين أن عمر بن الخطاب قد التزم بالقاعدة الثلاثية إما "الإسلام أو الجزية أو الحرب". وبسبب هيمنة المسلمين على المنطقة، فكان عليهم أن يدفعوا الجزية مرغمين طبعاً، وأن يلتزموا بعض المسائل الأخرى التي كانت وردت في عهود محمد مع اليهود والنصارى. وهي عهدة لا تخرج عن الخط العام الذي مارسه المسلمون أينما حلوا وهيمنوا. ولكن انتشرت في فترة لاحقة ما أطلق عليه الشروط العمرية. فماذا تتضمن الشروط العمرية ومن طرحها أول مرة؟ وما الموقف منها؟

تشير المصادر الإسلامية بهذا الصدد إلى ما يلي: إن أول من أورد الشروط العمرية في كتاباته هو الإمام الجوزي في كتابه «أحكام أهل الذمة»، وابن كثير في تفسيره، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.<sup>6</sup>

---

المتروكة الى جوامع فهذه ايضا دور عبادة ولكنهم حولوا قسم من الكنائس الارمنية في تركيا الى مخازن عتاد ومخازن حكومية وحتى البعض منها الى اصطبلات). هامبرسوم أغابشيان. بتاريخ 2018/06/04.

<sup>4</sup> راجع: نافع البرواري، أحوال المسيحيين في عهد الخلفاء المسلمين، موقع عنكاوة، 2016/12/17.

<sup>5</sup> أنظر: إبراهيم عباس، حقيقة العهدة العمرية.. والفرق بينها وبين الشروط العمرية» كشف المغيب من خطوطها وموقف المؤرخين منها، موقع المدينة، 2012/2/10.

<sup>6</sup> أنظر: الدكتور رمضان اسحق الزيان، روايات العهدة العمرية . دراسة توثيقية. شبكة الدفاع عن السنة. أنظر أيضاً: المصدر السابق.

التي وردت لدى ابن القيم الجوزي، هذه الشروط العمرية المنسوبة إلى عمر بن الخطاب، ثم أوردها ابن كثير وغيره من الكتاب المسلمين، على النحو التالي:

"اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِلْكَ الشُّرُوطَ الْمَعْرُوفَةَ فِي إِذْلَالِهِمْ وَتَضْغِيرِهِمْ وَتَحْقِيرِهِمْ وَذَلِكَ مِمَّا رَوَاهُ الْأَيْمَةُ الْحَفَاطُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابُ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَدَرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلٍ مِلَّتْنَا وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدِينَتِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا قَلَايَةَ وَلَا صَوْمَعَةَ زَاهِبٍ وَلَا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْهَا وَلَا نُحْيِي مِنْهَا مَا كَانَ خُطَطًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ لَا نَمْنَعُ كَنَائِسَنَا أَنْ يَنْزِلَ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَأَنْ نُوسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَةِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَأَنْ نُنْزِلَ مِنْ رَأْيِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ نُطْعِمُهُمْ وَلَا نَأْوِي فِي كَنَائِسِنَا وَلَا مَنَازِلِنَا جَاسُوسًا وَلَا نَكْتُمُ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا نُعَلِّمُ أَوْلَادِنَا الْقُرْآنَ وَلَا نُظْهِرُ شِرْكًَا وَلَا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا وَلَا نَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ وَأَنْ نُوقِّرَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ نَقُومَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِنْ أَرَادُوا الْجُلُوسَ وَلَا نَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ مَلَابِسِهِمْ فِي قَلَنْسَوَةٍ وَلَا عِمَامَةٍ وَلَا نَعْلِينَ وَلَا فَرْقَ شَعْرٍ وَلَا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ وَلَا نَكْتُمِي بِكُنَاهُمْ وَلَا نَرْكَبُ السُّرُوجَ وَلَا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ وَلَا نَتَّخِذُ شَيْئًا مِنَ السِّلَاحِ وَلَا نَحْمِلُهُ مَعَنَا وَلَا نَنْقُشُ خَوَاتِيمَنَا بِالْعَرَبِيَّةِ وَلَا نَبِيعُ الْخُمُورَ وَأَنْ نَجْزِيَ مَقَادِيمَ رُءُوسِنَا وَأَنْ نَلْزِمَ زَيْنًا حَيْثُمَا كُنَّا وَأَنْ نَشُدَّ الرِّزَائِيرَ عَلَى أَوْسَاطِنَا وَأَنْ لَا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا وَأَنْ لَا نُظْهِرَ صُلْبَنَا وَلَا كُنْبُنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ وَلَا نَضْرِبَ نَوَاقِيسِنَا فِي كَنَائِسِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا وَأَنْ لَا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا فِي شَيْءٍ فِي حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا نُخْرِجُ شَعَانِينَ وَلَا بُعُوثًا وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا مَعَ مَوْتَانَا وَلَا نُظْهِرُ النِّيْرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ وَلَا نُجَاوِرُهُمْ بِمَوْتَانَا وَلَا نَتَّخِذُ مِنَ الرَّقِيقِ مَا جَرَى عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ نُرْشِدَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ .

قَالَ فَلَمَّا أَتَيْتُ عُمَرَ بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ وَلَا نَضْرِبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَرَطْنَا لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا وَقَبْلِنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ مِمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَوَوَّظْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا وَقَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنَّا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمُعَانَدَةِ وَالشَّقَاقِ".<sup>7</sup>

لقد كانت هذه الشروط شديدة الوطأة على المسيحيين، ودفعت بالعديد منهم إلى اعتناق الإسلام. إذ تتجلى فيها محاولات فرض عملية إذلال لجزء من البشر، ممن كان يؤمن بديانات أخرى غير الإسلام، وهم من أهل كتاب، وبالتالي فهم على وفق رؤية الإسلام، أنهم من خلق الله، فهل يجوز إذلال خلق الله وبهذه الصورة المزرية. إن الكثير من الدلائل تشير إلى ضعف شديد لهذه الشروط التي كان هدفها الإساءة والخط من كرامة

<sup>7</sup> نص العهدة العمرية من كتاب لأبن القيم الجوزية "أحكام أهل الذمة".

الإنسان اليهودي والمسيحي، والتي استخدمت فيما بعد في الدولة العباسية على نطاق واسع وصدرت فيها قرارات عن بعض خلفاء العباسيين أيضاً.

لقد تعرض العراق إلى حملات المغول الهمجية بقيادة هولاكو في العام 1258م، وإلى حملات تيمور لنگ العسكرية في العام 1401م، وكذلك إلى حملات عسكرية أخرى من جانب الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الفارسية في صراعهما ونزاعهما لاحتلال العراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، والتي اتخذت طابعاً طائفيًا في الشكل واستعماريًا في المحتوى لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية في الجوه، ثم معارك الحرب العالمية الأولى على أرض العراق أيضاً بين القوات البريطانية وقوات الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) وتخلص العراق من الهيمنة العثمانية البالية، وسقوطه تحت الاحتلال والاستعمار البريطاني المباشر بين 1917-1932، وأخيراً وقوع العراق تحت الاحتلال الأمريكي-البريطاني للعراق في أعقاب حرب الخليج الثالثة ضد النظام الدكتاتوري البعثي في العام 2003، وما أقيم على أنقاض نظام البعث الشوفيني والفاشي من نظام سياسي طائفي محاصصي مستبد ومدمر. وفي جميع هذه الفترات، ولاسيما من جانب قوى الاحتلال، مورست سياسة "فرق تسد" لدق أسفين الخلاف ورفض الآخر من جانب حكام القومية الأكبر والدين الأوسع انتشاراً، أي من جانب الحكام العرب والمسلمين، لتأمين إطالة عمر الهيمنة والاستغلال، وقد دام بعضها قروناً عدة، كما في الاستعمار العثماني للعراق باسم الإسلام، وبعضها الآخر عدة عقود، كما في الاستعمار الإيراني للعراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، أو الاستعمار البريطاني، أو عدة سنوات كما في احتلال داعش لبعض مناطق العراق! ولعب التدخل الخارجي، حتى بدون احتلال مباشر، دوره السلبي الموجه في شق وحدة الصف الوطني وتمزيق النسيج الاجتماعي الوطني العراقي، وفي إشاعة التمييز بين القوميات وأتباع الأديان والمذاهب، ولاسيما من قبل دول الجوار العراقي، والتشكيك بقومياتهم أو دياناتهم أو مذاهبهم أو نشر الأساطير والخرافات والإشاعات المسيئة بشأن بعضهم.

لقد برهنت تجارب شعوب العالم على أهمية وضرورة الاقتناع بأن الاعتراف والاحترام المتبادل بالتنوع القومي والديني والمذهبي في بلد متنوع القوميات والأديان والمذاهب يعتبر الطريق الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام أولاً، وهي الأجواء الضرورية التي تسمح في تحقيق النمو والتطور والتقدم والازدهار لشعب العراق بكل قومياته وابع دياناته ومذاهبه ثانياً.

هناك تجارب غنية في العالم يمكن ان يستفيد منها العراق، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أدرك أول رئيس للولايات المتحدة جورج واشنطن (1732-1799م) أهمية احتضان كل المواطنين دون استثناء والاستفادة منهم جميعاً في بناء الولايات المتحدة الأمريكية. فحين "أراد بناء بيته، كتب رسالةً طالباً فيها بنائين ونجارين حاذقين، جاء فيها: «إذا كانوا عمالاً جيدين، قد يكونوا من آسيا أو أفريقيا أو أوروبا، أو يكونوا محمديين (مسلمين) أو يهوداً، أو مسيحيين من أي طائفة، أو ملحدين". (رشيد الخيون، متى يغزو التنوع الإنساني قوة؟، جريدة المدى، 2018/03/14). وكان موقف السلطان سليمان القانوني مماثلاً لموقف جورج واشنطن والرئيس جيفرسون، حين أكد، كما يشير إلى ذلك الدكتور رشيد الخيون، رافضاً مقترحاً طرحه عليه شيوخ بأن "على سليمان القانوني (ت 1566) بفرض الإسلام على إمبراطوريته كافة، فكان جوابه: «كما أن هذا التنوع الظاهر في الأعشاب والأزهار لا يُضير في شيء، بل يُجدد النظر والشم على نحو رائع، كذلك تنوع الأديان في إمبراطوريتي لا يُشكّل عبئاً عليّ، بل عون لي. بالأحرى شرط أن يعيش رعاياي بسلام ويطيعون

وأوامري، فالأفضل لي أن أدعهم يعيشون على طريقتهم، ويتبعون الديانة التي يريدون (..) بدلاً من أن أثير الفتن، وأرى دولتي مُقفرة شأن حديقة اقتلنا منها جميع الأزهار، ولم يُبقِ فيها إلا على لون واحد". (المصدر السابق نفسه). إلا إن مثل هؤلاء الحكام، في تاريخ العراق عموماً والفترة العثمانية خصوصاً، هم قلة نادرة. فظاهرة التعدد والتنوع القومي والديني والمذهبي الزاهر لم تكن باستمرار محط ارتياح الحكام، من ملوك و خلفاء وولادة وشيوخ دين، وأخيراً رؤساء جمهورية ومؤسسات دينية. وتجلّى ذلك ولا يزال في التشريعات والأنظمة أو الدعاية والإعلام والتصريحات والممارسة اليومية، التي كان الحكام والمسؤولون ولا زالوا يقررونها ويفرضون تنفيذها بصيغ شتى إزاء أتباع القوميات والأديان والمذاهب الأخرى. وكثيراً ما كان الحكام والمسؤولون ولا زالوا يُنشطون مجموعات من البشر من القومية العربية أو من الأثرية المسلمة، لتمارس المواقف المناهضة لأتباع القوميات والأديان والمذاهب الأخرى. وإذا كان تاريخ العراق حافلاً بلوحات إنسانية جميلة من التعايش السلمي والتضامني والنضال المشترك بين أتباع القوميات والأديان والمذاهب على الصعيد الشعبي، فإن هذا التاريخ كان، وفي الواقع ما يزال، مليئاً بلوحات أخرى ظلامية و كارثية أيضاً، تعبر عن وجود إصرار على نشر الكراهية والأحقاد القومية والدينية والمذهبية على مستويين: الدولة والمجتمع، من خلال التشريعات والتعليم والتنقيف والإعلام، ويسعون إلى غلغلة ذلك إلى أوساط الشعب. وبالتالي لم يخل العراق على امتداد تاريخه الطويل من المشهدين، المشهد الإنساني الشعبي، والمشهد اللإنساني، انطلاقاً من النظرية العنصرية والتمييز الديني والمذهبي القائمة كلها على رفض الاعتراف بالآخر والأحكام المسبقة، النمطية، على قاعدتي "أنا" والـ "آخر". والسؤال المهم هو: أين يكمن الأساس في نشوء مثل هذه الظاهرة على صعيد العراق؟

من يدرس الكتب الدينية والفكر الديني عموماً سيجد أمامه، إلى جانب الأفكار الإصلاحية لمعالجة المشكلات التي جابهت المجتمعات حين ظهرت فيها تلك الأديان، وآخرها الدين الإسلامي قبل 1410 سنة (608 - 2018)، ظهرت في الواقع أربع أفكار أساسية تشكل جوهر المشكلات السابقة والراهنة:

الأولى تقول: أنتم "شعب الله المختار"، كما يعبر عنها اليهود في التوراة، أو "كنتم خير أمة أخرجت للناس" كما في قرآن المسلمين، وكلاهما يعبر في موقف يميز بين ألد "أنا" والـ "آخر". وهما يتبادلان الموقع في الرؤية النمطية من جانب ألد "أنا" نحو الـ "آخر".

الثانية تقول: دينكم هو الأفضل بين الأديان الأخرى. وهذه المقارنة تثير بحد ذاتها حالة من التمييز والمفاضلة والمنافسة والاتهامات المتبادلة.

والثالثة تطالب أتباع هذا الدين أو ذاك بنشر دينهم على أوسع نطاق ممكن وكسب المزيد من التابعين، وهم بذلك يكسبون الثواب لدى الخالق.

والرابعة تؤكد بأن من يؤمن بهذا الدين له الجنة، ولغيره من أتباع الأديان الأخرى النار وبئس المصير، وبمعنى آخر، إن أتباع الأديان الأخرى، سواء أكانوا أهل كتاب أم لا، هم باختصار كفره ومشركون يستحقون نار جهنم وبئس المصير.

هذه الرؤى الذاتية لدى أتباع الأديان الكتابية قد دفعت بجميع الأديان التبشيرية على التحريض الجلي والدعوة إلى نشر الفكر الديني لهذا الدين أو ذاك، وكسب أتباع الأديان الأخرى لهذا الدين أو ذاك، بأمل الحصول على ثواب في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة، والتي أثارت وتثير بدورها المشكلات والصراعات والنزاعات الدموية بين أتباع الأديان والمذاهب، في حين أن ديانات أخرى موجودة بالعراق أيضاً تعتبر مغلقة غير تبشيرية لا تريد كسب آخرين من ديانات أخرى لدينها، مع إنها تعتبر دينها هو الأفضل أيضاً، ولكنها مكتفية بأتباعها أو من نطقها. وممارسة الكسب لا يتم بين أتباع الأديان التبشيرية فحسب، بل وكذلك بين أتباع الدين الواحد حين تتعدد المذاهب فيه، وأغلب الأديان الكتابية التبشيرية ظهرت فيها مذاهب عديدة ومتصارعة ومتنازعة بالدم ومحاولة استئصال الآخر. وتاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام في القرون المنصرمة مليء بالصراعات المذهبية. ومع إن هذا الصراع الطائفي قد تقلص لدى أتباع الديانتين اليهودية والمسيحية عموماً بسبب التطور الاقتصادي، لاسيما الصناعي، وحركة التنوير الديني والاجتماعي وفصل الدين عن الدولة والسياسة، فقد لاحظنا وجودها في أيرلندا الشمالية مثلاً، في حين إن الإسلام يواجه تفاقماً في الصراع بين حكام وشيوخ المذهبين السني والشيوعي، ولاسيما بين المتطرفين السنة والشيعة (الحنبلية لدى السنة والاتجاه الصفوي وجماعة ولاية الفقيه لدى الشيعة).

وإذا أخذنا دين الأكثرية بالعراق، وهو الإسلام، حيث ولد عليه أكثر من 90% من السكان، سنواجه بإشكاليات ناتجة عن موقف مزدوج: الجانب الأول منه الاعتراف بالأديان الكتابية من جهة، واعتبار الدين الإسلامي هو آخر الأديان السماوية من جهة أخرى. وهذا يعني دون مواربة إنه ينسخ الأديان السماوية أو الكتابية السابقة، وعلى أتباعها التحول صوب الدين الإسلامي. أما الموقف من الأديان غير الكتابية فتعتبر كلها بالنسبة للإسلام ديانات موجودة، ولكن غير معترف بها باعتبارها ديانات مشرقة وبالتالي فهي كافرة، وإن أتباعها جميعاً مشركون وكفرة!!!

ويمكن أن نجد كل ذلك في آيات قرآنية، رغم ما جاء في القرآن قوله "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين" وهذه الصيغة فيها جانبين مهمين: إن هناك أتباع ديانات يعتبرهم القرآن كفرة، ولهم دين، وأن من حقهم ذلك، وأن المسلمين لهم دينهم. ولكن في مواقع أخرى يكون الموقف غير ذلك وبالضد منه تماماً.

في الأديان الأخرى توجد صياغات تقود إلى رفض الآخر. ولكن مع حصول التنوير الديني والاجتماعي تغير الموقف العملي إلى حدود غير قليلة، ومثل هذه الأديان أو أتباعها لا يسعون إلى تغيير دين الآخر بل يعترفون بوجوده أو يتركون له حرية الوجود وممارسة الطقوس، ولاسيما في أوروبا وعموم الدول الغربية المتقدمة، أو حين لا تكون ذات قدرة في التأثير في المجتمع. ومثل هذا التنوير لم يحصل لدى الغالبية العظمى من أتباع الدين الإسلامي.

هناك آيات قرآنية ذات مضمون إيجابي لصالح التعايش والحوار السلمي بين أتباع الأديان الكتابية، منها مثلاً:

□ لَيْسُوا سَوَاءً مَن أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ □ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ □ وَمَا يَفْعَلُوا  
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.<sup>8</sup>

ثم جاء في الآية 46 من سورة العنكبوت ليؤكد أهمية الجدل وليس العنف في العلاقة مع أهل الكتاب إذ جاء  
ما يلي: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ  
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.<sup>9</sup>

أما الآيات 123 و124 و125 من سورة النساء فتساوي بين الجميع في الإيمان وفي طبيعته عمله الصالح  
أو الطالح حيث ورد ما يلي بشأن أهل الكتاب:

□ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا □  
وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِمَّن ذَكَرَ أَوْ أُنتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا □ وَمَنْ أَحْسَنُ  
دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا.<sup>10</sup>

وفي سورة المائدة ورد نص يشير إلى العلاقة الطيبة التي يفترض أن تكون بين أهل الكتاب حيث ورد في  
الآية الخامسة ما يلي:

" الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ  
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي  
أُحْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ".<sup>11</sup>

ورغم موقعي المخالف لقاعدة الذميمة في الإسلام، أورد هنا هذا الموقف الذي ينسب إلى النبي محمد حول  
العلاقة الإيجابية مع الذميين:

"من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة". "من ظلم معاهدا، أو انتقصه حقا، أو  
كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة".<sup>12</sup>

ولكن نقرأ في القرآن آيات أخرى مضادة للموقف السابق، منها مثلا:

فقد ورد في سورة المائدة، وهي سورة مدنية، تجسد التشدد في الموقف حيث ورد ما يلي:

8 القرآن/ سورة آل عمران. دار الجيل-بيروت، سورة مدنية، ص 64.

9 المصدر السابق نفسه، سورة العنكبوت، مكة، الآية 46.

10 المصدر السابق نفس، سورة النساء. مدنية.

11 المصدر السابق نفسه، سورة المائدة. الآية الخامسة.

12 انظر: منتديات برق. موقع على الإنترنت. أخذ الحديث بتاريخ 2016/8/6.

" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ □ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ □ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ □ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ □ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ."<sup>13</sup> ثم يتشدد القرآن في ذات السورة وفي الآية 77، ثم يكرر ذلك في الآية 171 من سورة النساء وبصيغة أكثر تشدداً حيث ورد فيها ما يلي:

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ □ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ □ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً □ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ □ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ □ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ □ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ □ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا \* لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ □ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ □ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا. \*<sup>14</sup>

وفي الآيتين 100 و101 من سورة الأنعام يؤكد القرآن ما يلي:

□ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ

□ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ."<sup>15</sup>

والأمر الأكثر تطرفاً يبرز في مواقف شيوخ الدين وفتاواهم المناهضة لأتباع الأديان الأخرى وأتباع المذاهب الأخرى في الإسلام. وهي التي تساهم بدورها في تشديد عدم التفاهم والتوتر والصراع والنزاع وتقود إلى القتل العمد باعتبار هؤلاء كفرة يجوز نحرهم!!!

لقد حصل هذا في التاريخ الطويل للإسلام وعبر جميع الدول التي تبنت الإسلام، كما حصل بالدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية، وكذلك بالدول الحديثة، ذات الأثرية المسلمة، سواء أكان من بعض حكومات تلك الدول أو من قوى إسلامية سياسية متطرفة فيها.

وتاريخ العراق الأموي والعباسي والعثماني مليء بأحداث التمييز والتهميش والإقصاء والقتل لأتباع الأديان الأخرى وأتباع المذاهب الأخرى في الإسلام أيضاً، مع وجود حالات إيجابية بين فترة وأخرى! إن المشكلة

<sup>13</sup> المصدر السابق نفسه، سورة المائدة، الآية 77.

<sup>14</sup> المصدر السابق نفسه، سورة النساء. الآية 171.

<sup>15</sup> المصدر السابق نفسه، سورة الأنعام، مكة. الآيات 100 و101.

تكنم في الأساس الأيديولوجي لهذه المواقف وفي العقلية النمطية في التفكير والفعل. ولا يمكن الخلاص من ذلك ما لم يخض المسلمون عملية تنوير دينية واجتماعية، عملية تنوير حضارية ينزعون من رؤوسهم أيديولوجية ألد "أنا والآخر"، أنا الجيد والآخر السيء وديني الأجود وأديان الآخرين الأسوأ... الخ، ما لم يتعلموا الاعتراف بالآخر وحقه في الإيمان بهذا الدين أو ذاك، وبهذا المذهب أو ذاك، أو لا يؤمنوا بأي دين أو مذهب، إنه جزء من حقوق الإنسان على الصعيد العالمي، ولا يمكن أن يضع المسلمون والمسلمات أنفسهم فوق الجميع ويفرضون دينهم على الجميع، ومن يرفض فالموت حتفه!!! الرؤية الأيديولوجية تشكل السبب في التطرف على مدى تاريخ الإسلام والمسلمين والمسلمات، وكانت قبل ذلك أو ما تزال في الوقت الحاضر تشكل السبب في تطرف الأديان الأخرى حيثما برزت هذه الظاهرة، وهي السبب في ظهور القاعدة وداعش والمليشيات الطائفية المسلحة وما يماثلها بالدول ذات الأثرية الإسلامية، أو أينما وجد مسلمون ومسلمات في العالم.

وسنحاول فيما يأتي المرور على بعض الوقائع المهمة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وسيقتصر البحث هنا حول محنة المكونات الدينية بالعراق، وهم المسيحيون والإيزيديون والصابئة المندائيون والشبكيون والكاكائيون والزرادشتيون والبهاثيون والبابيون.

حين تأسست الدولة العراقية الملكية في العام 1921 وجدت بالعراق، وحتى يومنا هذا، القوميات والأديان والمذاهب التالية:

أولاً: القوميات: العربية، القومية الكردية، والكرد الفيلية، وهم جزء من الأمة والقومية الكردية، القومية الآشورية، والكلدانية، والسريانية، والأرمنية، والتركمانية، والفارسية. وتشير المعطيات الخاصة بعدد نفوس أتباع القوميات التي شملها التقدير أو الإحصاء الرسمي عن الفترة بين 1919-1957 إلى أرقام الجدول التالي:

## جدول رقم 1

### التركيبة القومية للسكان بالعراق

التفاصيل القومية	1919		1947		1957	
	عدد السكان بالآلاف	النسبة %	عدد السكان بالآلاف	النسبة %	عدد السكان بالآلاف	النسبة %
العرب	2206	76,7	3746	80,1	4950	78,1
الكرد	500	17,4	793	16,9	1061	16,7
التركمان	61	2,1	82	1,7	142	2,2
الآخرون*	111	3,8	56	1,3	185	2,9
المجموع	2868	100,0	4677	100,0	6338	100,0

قارن: د. فاضل الأنصاري، مشكلة السكان، نموذج القطر العراقي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980، ص 22.

\* الآخرون تشمل القوميات الأخرى، وهي الآشورية والكلدانية والسريانية والفارسية والأرمنية، كما تشمل اليهود والمندائيين والزرادشتية والبهاثية والبابية، في حين احتسب الإيزيديون ضمن الكرد.

ثانياً: الأديان: الإسلام، اليهودية، المسيحية، المندائية، الإيزيدية، الكاكائية، البهائية، الزرادشتية، والبابية، إضافة إلى وجود محدود لمليدين.

ثالثاً: المذاهب

أ- المذاهب في الإسلام: السنة: المذاهب الثلاثة التالية، الحنفية والشافعية والحنبلية، وكذلك الشيعة، وأغلبهم جعفرية، أو من يطلق عليهم بـ "الاثنا عشرية" أو الإمامية، إضافة إلى وجود الشبك والكاكائية (أهل الحق).

ب- الطوائف الدينية في المسيحية: توجد 14 طائفة وعلى النحو التالي: 1- طائفة الكلدان، 2 - الطائفة الآثورية، 3 - الطائفة الآثورية الجاثليقية، 4 - طائفة السريان الأرثوذكس، 5 - طائفة السريان الكاثوليك، 6 - طائفة الأرمن الأرثوذكس، 7 - طائفة الأرمن الكاثوليك، 8 - طائفة الروم الأرثوذكس، 9 - طائفة الروم الكاثوليك، 10 - طائفة اللاتين، 11 - الطائفة البروتستانتية والإنجيلية الوطنية، 12 - الطائفة الإنجيلية البروتستانتية الآثورية، 13 - طائفة الايفنتست السبتيين، 14 - الطائفة القبطية الارثوذكسية.

ج- اليهود: شكل اليهود بالعراق فرقة واحدة اعتمدت التلمود والتوراة في آن، والتي يمكن ان يطلق عليهم مجازاً بالسفارديم.<sup>16</sup> وفي القرن الثامن الميلادي برزت بينهم فرقة لم تتوسع وبقيت قليلة العدد حتى الآن، يطلق عليها أسم "فرقة القرائين اليهود"<sup>17</sup>، التي رفضت التلمود وأكدت على التوراة. ومؤسس هذه الفرقة الصغيرة هو عنان بن داود، واعتبرت خارجة عن الدين اليهودي. (د. جعفر هادي حسن، فرقة القرائين اليهود، مؤسسة فجر، بيروت-لندن، ط 1، 1989).

د- الإيزيدية: بالنسبة لأتباع الدين الإيزيدي يعود وجودهم إلى آلاف السنين المنصرمة في هذه المنطقة من العالم، وأنهم من القومية الكردية، ولكن هناك مجموعة صغيرة تعتبر نفسها عربية، وأنها تعود في مرجعيتها

---

16 كلمة السفارديم تعني هؤلاء اليهود الذين هجروا من إسبانيا سنة 1492 الى دول البلقان والإمبراطورية العثمانية وهولندا بعد عصر التفتيش وكان عددهم يفوق عدد اليهود في الشرق الأوسط. وهؤلاء يختلفون عن اليهود في بلاد ما بين النهرين، ولكنهم أتبعوا تعاليم مرجعية بابل. وينتمي يهود العراق الى الكنيس الإسباني والبرتغالي المسمى السفاردي، لأن التعاليم هي على نفس المبادئ التي كانت في بابل أو العراق. وحتى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الفتوات تصدر من العراق، ولكن في أواخر القرن التاسع عشر أصبح النظام الديني اليهودي تابعا للقوى الدينية اليهودية في الدولة العثمانية. وعلى العموم أصبح هناك مصطلحان، أشكناز ويطلق على يهود ألمانيا، والسفارديم ويطلق على يهود اسبانيا. وعلى العموم يطلق على كل من ليس بأشكنازي بسفارديم.

17 برز القراؤون بالعراق في القرن العاشر وحصلت منازعات عديدة قبل تغلب القوى الدينية التقليدية، فقل نفوذهم مع بقاء قسم قليل منهم ومن المتصوفين في القرن التاسع عشر ولكنها انقرضت منذ أكثر من قرن.

ليزيد بن معاوية، كما توجد مجموعة تعتقد بانهم من قومية خاصة هي الإيزيدية، أي أنهم ليسوا كرداً ولا عرباً.

الصابئة المندائيون: لا توجد طوائف بينهم وهم طائفة واحدة ويقدر عمر هذه الطائفة بآلاف السنين، وهم آراميون.

هـ- بقية الأديان لا يوجد لها أتباع بأعداد كبيرة بالعراق سنأتي على ذكرهم لاحقاً. أما التركمان بالعراق فيتوزعون على مذهبين السني والشيوعي.

وتشير المعطيات المتوفرة عن عام 1920 إلى اللوحة السكانية الرقمية التالية:

### جدول رقم 2

#### بنية العراق السكانية في العام 1920

المدينة	نسمة/ مسلمين سنة	نسمة/ مسلمين شيعية	نسمة/ يهود /	نسمة/ مسيحيون	نسمة/ ديانات أخرى	نسمة/ المجموع
بغداد	130,000	54,000	50,000	15,000	1,000	250,000
الأنبار	247,000	200	2,600	200	.....	250,000
الموصل	244,713	17,180	7,635	50,670	30,180	350,378
صلاح الدين	66,455	14,215	300	.....	.....	80,970
ديالى	54,953	46,097	1,689	397	900	104,036
كركوك	85,000	5,097	1,400	600	.....	92,000
السليمانية	153,900	.....	1,000	100	.....	155,000
اربيل	96,100	.....	4,800	4,100	1,000	106,000
الحلة	15,983	155,897	1,065	27	28	173,000
قضاء الشامية	445	189,000	530	20	5	190,000
الكوت	8,578	98,712	381	127	.....	107,798
الديوانية	1,000	192,300	6,000	5,000	200	207,500
النجف	24,408	130,494	6,928	2,221	1,549	156,600
العمارة	7,000	284,700	3,000	300	5,000	300,000
الناصرية	11,150	306,220	160	30	2,440	320,000
العدد الكلي	1,146,685	1,491,015	87,488	78,792	42,302	2,849,282
النسب %	40.2	52.4	3.1	2.8	1.5	100

المصدر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، البيانات واردة حسب وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية إحصاء العراق 1947 م (بغداد 1954 م)، في هذا الإحصاء تم استثناء رجال القبائل الرحل المقدر عددهم عام 1947 م بـ 170 ألف نسمة ومعظمهم من المسلمين (حسب المصدر ذاته). كما إن الأديان الأخرى تشمل الصابئة المندائيون والإيزيديون والبهائيون والزرادشتيون والبابيون.

ومنه يتبين إن هذا الجدول لا يتضمن أتباع الأديان الأخرى واقتصر على المسلمين واليهود والمسيحيين، ووضع أتباع الأديان الأخرى في خانة (ديانات أخرى)، والذين بلغت نسبتهم 1,5% من إجمالي السكان حينذاك. وهي أرقام يصعب الاعتماد عليها ولكن لا يوجد غيرها، علماً بوجود تقدير يشير إلى أن أتباع القوميات الأخرى بلغت نسبتهم 3,8% من مجموع السكان في العام 1919 وهم من ديانات أخرى وليسوا بمسلمين.

### جدول رقم 3

وفي الإحصائية الآتية تشير إلى التوزيع الإقليمي للبنية السكانية الدينية بالعراق لعامي 1957

و1965

السكان الآخرون		اليهود		الصابئة		السكان الإيزيديون		السكان المسيحيون		السكان المسلمون		المنطقة
%	العدد	%	العدد	%	عدد السكان	%	العدد	%	عدد سكان	%	عدد السكان	المحافظات
100	1.039	100	5.945	100	11.825	100	55.885	100	206.206	100,0	6.057.492	العراق 1957
100	16.217	100	3.187	100	14.262	100	69.653	100	232.406	100,0	7.711.712	1965
23,3	240	11,2	278	3,0	359	98,9	55.195	54,9	112.621	25,6	1.555.288	الشمالية 1975
80,3	12.973	5,2	165	2,1	305	99,0	68.948	40,0	92.861	27,4	1.943.039	1965
67,6	693	79,0	5.127	45,1	5.421	0,9	531	39,1	80.947	53,3	3.230.302	الوسطى 1957
18,0	2.927	85,2	2.717	52,5	7.492	0,9	617	54,1	125.717	53,5	4.132.700	1965
41,7	431	69,3	5.065	31,9	3.768	0,5	311	13,3	68.375	20,4	1.235.538	منها بغداد 1957
14,3	2.324	82,0	2.614	43,9	6.271	0,7	533	51,6	120.058	24,8	1.913.575	1965
10,3	106	9,6	540	52,2	6.305	0,2	158	6,1	12.638	21,0	1.271.902	الجنوبية 1957
1,7	273	9,5	305	45,3	6.465	0,1	88	5,9	13.828	21,2	1.635.973	1965

قارن: د. فاضل الأنصاري، مصدر سابق، ص 31 و 32. مأخوذ عن الإحصاء الحكومي.

وقبل البدء بالبحث فيما تعرض له أبناء وبنات أتباع الديانات والمذاهب الأخرى بالعراق لا بد من الإشارة إلى أن منظمات حقوق الإنسان العراقية بحاجة إلى أبحاث تفصيلية عن ضحايا الحروب والاستبداد والتمييز والتعذيب التي حصلت بالعراق خلال الفترة الواقعة بين 1963 - 2018 وما تعرض له الشعب العراقي عموماً، ولاسيما أبناء وبنات المكونات الدينية والمذهبية التي نحن بصدها، والتي يمكن بلورتها في الكوارث البشعة التالية التي حملتهم المزيد من الخسائر البشرية والتدمير، وهي:

\*\* الحروب الهمجية التي خاضها النظام البعثي الدكتاتوري نحو الداخل، وهما حربان ضد شعب كردستان وضد سكان الجنوب والکرد الفيلية والأهوار العراقية، وحروب أخرى نحو الخارج، سواء تلك التي فجرها النظام أم التي شنت ضده، وهي الحرب ضد إيران (1980-1988)، وحرب احتلال الكويت 1990، وحرب تحريرها (1991)، ثم حرب الإطاحة بالدكتاتورية البعثية في العام 2003، وإعلان احتلال العراق حتى العام 2011، إذ في هذا العام تم خروج القوات الأمريكية، وبقية القوات المتحالفة في الحرب ضد العراق، من العراق.

\*\* النظام الاستبدادي القمعي الذي عرض حياة مئات ألوف العراقيين والعراقيات إلى الاعتقال والتعذيب والسجن والموت والتهجير القسري.

\*\* كارثة الحصار الاقتصادي الدولي التي استمرت بين العام 1991 والعام 2013.

\*\* ضحايا الاحتلال وعمليات القتل التي شملت عشرات آلاف العراقيين والعراقيات، وضحايا الاعتقال والتعذيب على أيدي قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية ولاسيما في معتقل أبي غريب السيء الصيت.

\*\* ضحايا الإرهاب الذي مورس على أيدي الميليشيات الطائفية المسلحة الشيعية والسنية، والقتل على الهوية إزاء اتباع الديانات الأخرى، والقتل المتبادل بين تلك الميليشيات الشيعية والسنية في أوساط السكان من أتباع المذهبين.

\*\* ضحايا سياسات النظام السياسي الطائفي واجتياح تنظيمات داعش الإرهابية للموصل وسهل نينوى والمحافظات الغربية وديالى وكركوك ووقوع عمليات الإبادة الجماعية بالموصل وعموم نينوى.

لقد تعرض العديد من المكونات القومية والدينية العراقية إلى عمليات إبادة جماعية وضد الإنسانية، على وفق التوصيف الدولي لهذا المصطلح. فما هو مفهوم ومكونات أو مفردات الإبادة الجماعية؟

### مفهوم الإبادة الجماعية

أغلب المصادر التي تبحث في مفهوم ومضمون الإبادة الجماعية تشير إلى الباحث البولوني المولد والمعروف عالمياً رفايل لمكين Raphael Lemkin (1900-1959م)<sup>18</sup>، إذ نشر أول أبحاثه في العام 1933 وقبل ان يرتكب الألمان الفاشيين جريمتهم الكبرى في الحرب العالمية الثانية وفي المحرقة النازية في معسكرات الاعتقال الوحشية. وكان أول من وضع الأساس الفكري والفلسفي والسياسي لمفهوم الإبادة الجماعية على الصعيد البولوني والعالمي.

تطور فكر الإبادة الجماعية لديه ابتداءً من العام 1933 حين شخصها بالممارسات البربرية التي تشمل:<sup>19</sup>

### البربرية

التدمير المبيّث للتجمعات القومية والعرقية والدينية والاجتماعية بما فيها:  
أفعال الإبادة الموجهة ضد تجمعات عرقية أو دينية أو اجتماعية؛ أيًا كان الدافع وراءها، سياسياً أم دينياً... إلخ)؛ كالمجازر، والمذابح المدبرة، والأفعال المنفذة بغية تدمير الوجود الاقتصادي لأعضاء تجمع ما... إلخ، وتتصل بهذه الفئة أنواع الأعمال الوحشية التي تتعرض لكرامة الفرد، كأعمال الإهانة.

18 ملاحظة: الباحث البولوني رفايل لمكين فقد جل أفراد عائلته في المحرقة النازية التي نفذها النازيون الألمان في أوروبا في فترة الحرب العالمية الثانية على نحو خاص. وقد بدأ أبحاثه بشأن الإبادة الجماعية قبل ذلك بسنوات، ولم يدر أنه سيفقد أفراد عائلته في مثل هذه المجازر البشرية التي ينفذها كل المتطرفين والمتشدددين العنصريين والطائفيين وغيرهم ممن يقع ضمن تعريف الإبادة الجماعية. كاظم حبيب

19 أنظر: مارتين شو، الإبادة الجماعية، نقله إلى العربية محيي الدين حميدي، الطبعة العربية الأولى، الرياض، 2017.

ثم ربط ذلك في الفترة ذاتها بعمليات التخريبية المتعمدة حيث أشار إلى ما يلي:<sup>20</sup>

## التخريب

المتعمد للممتلكات العامة، وهو تدمير لأعمال الفن والثقافة التي تعبر عن مجموعة بعينها، وتميزها عن باقي المجموعات، ويعدُّ تعبيراً عن عبقرية تميز تلك المجموعات عن غيرها.

وفي العام 1944 وفي ضوء دراساته لهذه الظاهرة العدوانية في المجتمعات البشرية توصل إلى تحديد مفهوم الإبادة الجماعية على النحو التالي:<sup>21</sup>

## الإبادة الجماعية

تدمير أمة، أو مجموعة عرقية، فهذه الكلمة الجديدة مركبة من الكلمة اليونانية genos (العرق أو القبيلة) واللاتينية cide (قتل).

ثم عمد إلى توضيح الفكرة بقوله:<sup>22</sup>

ثمة مصطلح آخر يمكن استخدامه للفكرة ذاتها، أي الإبادة الجماعية، وهو الإبادة الإثنية، ويتكون من الكلمة اليونانية ethnos أمة، والكلمة اللاتينية cide بمعنى قتل.

وفي العام 1947 طلبت منه الأمم المتحدة بتقديم مسود قرار حول الإبادة الجماعية Genocide

بالإنكليزية، و Voelkermord بالألمانية، والإبادة الجماعية أو إبادة شعب بالعربية. إلا إن مفهوم لمكن للإبادة الجماعية قد تطور بفعل النقاشات بالأمم المتحدة والأحداث التي مرت بها البشرية وارتباطاً بالجرائم التي يمكن أن ترتكب في الحروب، وهي جرائم ضد الإنسانية، إضافة على أن الحروب ذاتها جرائم ضد الإنسانية. وقد تبنت الأمم المتحدة اتفاقية بشأن الإبادة الجماعية في التاسع من كانون الأول عام 1948، أي قبل يوم واحد من تبني الأمم المتحدة للاتحة الدولية لحقوق الإنسان في العاشر من شهر كانون الأول 1948. فما هي ملامح هذه الاتفاقية المهمة في حياة البشرية والحضارة الإنسانية الحديثة؟

إن الأطراف المتعاقدة:

20 المصدر السابق نفسه.

21 المصدر السابق نفسه.

22 المصدر السابق نفسه.

إذ ترى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بقرارها 96 (د - 1) المؤرخ في 11 كانون الأول / ديسمبر 1946، قد أعلنت أن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها وبيديها العالم المتمدن.

وإذ تعترف بأن الإبادة الجماعية قد أُلحقت، في جميع عصور التاريخ، خسائر جسيمة بالإنسانية، وإيماناً منها بأن تحرير البشرية من مثل هذه الآفة البغيضة يتطلب التعاون الدولي.

تتفق على ما يلي:

#### المادة الأولى

تصادق الأطراف المتعاقدة على الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها.

#### المادة الثانية

في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أيّاً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه:

( أ ) قتل أعضاء من الجماعة.

(ب) إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

( ج ) إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

(د) فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

(هـ) نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى.

#### المادة الثالثة

يعاقب على الأفعال التالية:

( أ ) الإبادة الجماعية.

(ب) التآمر على ارتكاب الإبادة الجماعية.

( ج ) التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية.

(د) محاولة ارتكاب الإبادة الجماعية.

(هـ) الاشتراك في الإبادة الجماعية.

#### المادة الرابعة

يعاقب مرتكبو الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة، سواء كانوا حكماً دستوريين أو موظفين عامين أو أفراداً.

#### المادة الخامسة

يتعهد الأطراف المتعاقدون بأن يتخذوا، كلٌّ طبقاً لدستوره، التدابير التشريعية اللازمة لضمان إنفاذ أحكام هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص النص على عقوبات جنائية ناجعة تنزل بمرتكبي الإبادة الجماعية أو أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة.<sup>23</sup>

إن ما ورد من معايير إنسانية في المواد الخمس أعلاه يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة الجرائم التي ارتكبت في القرن العشرين ضد الأرمن بالدولة العثمانية في الفترة 1914-1918 وضد المسيحيين الآشوريين والكلدان في تلك الفترة وقبلها، كما تنطبق على الجريمة التي ارتكبت ضد الآشوريين بالعراق في العام 1933 بسميل، وكذلك الجريمة التي ارتكبت ضد الشعب الكردي بكردستان العراق من قبل النظام الدكتاتوري البعثي والدكتاتور صدام حسين ورهطه من البعثيين، ولاسيما علي حسين المجيد، القائد المباشر للقوى العسكرية والمدنية التي ارتكبت الجريمة بكردستان العراق في العام 1988، إضافة إلى الجرائم التي ارتكبت في العام 2014 - 2017 بمحافظة نينوى، ولاسيما ضد الإيزيديين بسنجار وضد المسيحيين بالموصل وسهل نينوى، وضد الشبك والتركمان. وهي لا تختلف من حيث الجوهر عما ارتكب بألمانيا النازية ضد اليهود في المحرقة النازية الشهيرة التي تعتبر وصمة عار في جبين المانيا النازية والحزب النازي الألماني وزعيمها الدكتاتور المجرم أدولف هتلر وبطانته. كما إنها تتطابق مع ما وقع بإقليم كردستان العراق في العام 1988 من قبل نظام البعث الدكتاتوري من عمليات إبادة جماعية وضد الإنسانية، إضافة لما حصل للكرد الفيلية وسكان الأهوار في جنوب العراق.

<sup>23</sup> أنظر: اتفاقية منع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 1948/12/09، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، اخذت المواد الخمسة من الاتفاقية بتاريخ 2017/08/17.

## الفصل الأول: العراقيون اليهود

يعود تاريخ اليهود بالعراق إلى الفترة الواقعة بين 859-586 ق.م، حيث جيء بهم أسري من مناطق أورشليم والسامرة ومملكة يهوذا، أي في عدة حملات عسكرية ابتداءً من الحملة الأولى في عهد الملك شلمنصر الثالث الآشوري (746 - 727 ق.م)، واستمراراً بحملة الملك سنحاريب الآشوري (705 - 681 ق.م) وأخيراً قام الملك نبوخذ نصر في فترة الحكم الكلداني بحملته العسكرية على مملكة يهوذا والتي أطلق على الأسرى الذين جلبهم إلى بابل بـ "السبي البابلي" في العام 586 ق.م. وبالتالي فيمكن اعتبار اليهود من أقدم الشعوب التي قطنت بلاد ما بين النهرين. حين أقيمت الدولة العراقية الملكية الحديثة وفي عهد الملك فيصل الأول تمتع اليهود كباقي أتباع الأديان بوضع طبيعي ومارسوا دياناتهم وأعمالهم الاعتيادية دون منغصات. إلا إن هذا الوضع قد تغير مع وصول الملك غازي الأول على عرش البلاد، وحين برزت الاتجاهات الفكرية القومية المتطرفة وبرز نشاط ملموس لألمانيا الهتلرية بالعراق، ومع تعقد الأوضاع في فلسطين والهجرة اليهودية إليها، وقبل ذلك منحت الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين لليهود العالم الحق في إقامة دولة لهم بفلسطين على وفق وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، حيث احتدم الصراع بعدها في أعقاب الثورة الفلسطينية في عام 1936 ضد الاحتلال البريطاني.

كان يهود العراق يعيشون مع بقية مواطنات ومواطني العراق في أحياء في الغالب الأعم مشتركة، إذ لم تكن هناك غيتوات خاصة باليهود معزولة عن بقية السكان، ولاسيما في المدن الرئيسية مثل بغداد والبصرة والموصل. ويمكن للقائمة الآتية، المأخوذة من سجلات مخاتير محلات بمدينة بغداد في العام 1918، أي قبل مائة عام بالتمام والكمال، تشير إلى هذه الحقيقة حيث وجدت 59 محلة ببغداد، عاش في 53 منها مسلمون ويهود و6 فقط كانت خاصة بأحدهما. بلغ سكان بغداد 126484 نسمة، منهم 77296 مسلماً و41058 يهودياً و8130 مسيحياً. أي بالنسب التالية: 61,1%، 32,5%، 6,4% على التوالي.

		ذكر سكان محلات بغداد على مافي دفاتر المختارين		
		اسم المحلة	مسلمون	يهود
٢٩	عشيرة بني عمير فتل لسخر ١١١١	١ الشيخ سراج الدين	٦٧٣	٤
٣٠	الباب الوسطاني ٧٠٠٠	٢ الدشقي	٥٠٥	٢٢
٢٤١٧	٢٩ النوراة	٣ فرج الله	١٢٧٠	
	١٦٢٦ خان لاوند	٤ بني سعيد للإسلام	١٣٣٦	
٢٠	٣١٤٣ الميدان	٥ الحيدرخانة	١٩٠٦	٢٠٦
١٣١	١٧٦٨ الهدية	٦ حديد حسن باشا	٢٧٩٢	٩٢
	٢٥١٢ قاضل عيفان	٧ رأس السالفة	٢١٦٨	
٣٠	١٧٣٠ شورحام ( او الحمام المالح )	٨ السيد عبد الله	١٣٧٣	
٧٧	٧٨٤ الحاديثة	٩ قهوة شكر	١٩٨٣	
	٣٨ البومفرج	١٠ الهياوين	١٩٠٩	٢١٤
٣٠	٢٢٤٠ الفرغغول	١١ الحاج قتيبي	٣٤٣١	
٤٩٥٨	٤٠ بني سيد اليهود	١٢ رأس القرية	١٠٤٣	٥٩٠
٥٣٧	٤١ حنون الكبير والصغير وأبيض	١٣ الطوب وقر الدين	١٣٤٣	٩
	٤٢ العزة او العزات	١٤ تحت التكية	١٥٨٩	
٧	٧٠٠ المريمة	١٥ الماقولة	٩٥٢	٢٨٥
٨٠٨	٨٥٢ الدحانة	١٦ البارودجية	٢٦٣٤	
	٤٥ حضرة الشيخ	١٧ الامام طه	٦٤٦	١٣٥
٦٦٤٢	٤٦ طاطران ابو سيفين	١٨ قبر علي للإسلام	١٣٥٥	
٣٤	٤٧ قره شبان	١٩ الكيسان	٤٣٠	٥٧٨
٩٠	٤٨ الكولتات	٢٠ نية الكرد	٧٩٩	
١٤٧٠	٤٩ السنة حديبة	٢١ حمار سبع ابيكار	١٦٨٥	٨٧
٦٩٨٥	٥٠ قبر علي اليهود	٢٢ الدور	٨٢٥	
١٣٠٤	٥١ باب الآقا	٢٣ البنك	٧٤٨	
	٥٢ الجوبة	٢٤ الفشل	١٣٩٦	١٩١٠
٤١٠٥٨	٧٧٢٩٦	٢٥ صباغ الآل	٢٤٦٤	١٣٧
	٤١٠٥٨	٢٦ الفاطرخانة	١٠٦١	٣٧
	١١٨٣٥٤	٢٧ سوق النزل	١٨٣٢	٦٥٩
	٨١٣٠	٢٨		
baghdadi	١٢٦٤٨٤			

كان هذا قبل تشكيل الدولة العراقية الحديثة وفي ظل الحكم الاستعماري التركي القديم الذي انتهى في العام 1917 باحتلال بغداد من قبل القوات البريطانية، وبدء الحكم الاستعماري البريطاني للعراق وتشكيل الدولة العراقية عام 1921. لقد كانت العلاقات بين المواطنين من مختلف الديانات طبيعية إلى حدود جيدة، وحاول الملك فيصل الأول الحفاظ عليها خلال فترة حكمه حيث توفي في العام 1933، بعدها تسلم الملك غازي الأول عرش العراق. وفي فترة حكمه ظهرت بوادر جدية صوب العداء لليهود، بشكل علني وأحياناً مستتر. ولكنها برزت بشكل أقوى بعد انتصار النازية بألمانيا في العام 1933 وحصول تواصل بين القوميين العراقيين والعرب والدولة النازية وحزبها النازي.

لقد لعبت الدعاية النازية المناهضة لليهود دورها البارز في تنشيط التيار الفكري القومي اليميني بالعراق، الذي برز في نادي المثنى بن حارث الشيباني، الذي تأسس ببغداد عام 1935 ونشط مفكرو القومية البارزين، وفي المقدمة منهم ساطع الحصري ومجموعة من العراقيين. ثم تأسس في العام 1940 حزب الشعب بقيادة رشيد عالي الكيلاني والحاج أمين الحسيني مفتي القدس ومجموعة من الضباط العراقيين. وهم الذين نفذوا انقلاب الأول من مايس عام 1941 على الملكية. واستمر الانقلاب شهراً واحداً ثم أسقطت حكومة الانقلاب برئاسة رشيد عالي الكيلاني بتظافر جهود أتباع الملكية والقوات البريطانية التي خاضت الحرب ضد القوات العراقية. ومع سقوط نظام الانقلابيين شنت مجموعات من البدو ومن أعضاء في فدائيي يونس السبعواوي والجنود الفارين من المعارك الخاسرة وجمهرة من القوميين العراقيين على بيوت الأحياء اليهودية ومحلات عملهم ومارسوا عمليات القتل والفروود بشكل همجي فقتل على أثرها 144 مواطناً ومواطنة من اليهود، عدا الجرحى، كما سرقت الكثير من الأموال وما كان في دورهم من أشياء ثمينة. وحصل فرهود مماثل في البصرة دون أن يقع أي قتيل، إذ هب البصريون لنجدة مواطنيهم اليهود.

ززع هذا الوضع ثقة اليهود بمواطنيهم من المسلمين، ومع ذلك فقد واصلوا الحياة والعمل ولم يفكروا بالانزوح إلى خارج العراق. ولكن إقامة دولة إسرائيل واستمرار وجود قوى قومية مناهضة لليهود، وبروز نشاط صهيوني منظم من قبل الموساد والمنظمات الصهيونية الأخرى بالعراق،<sup>24</sup> قد أدى إلى بروز اتجاه محدود لدى مجموعة صغيرة من اليهود للهجرة من العراق إلى أوروبا أو إلى إسرائيل. وفي هذه الفترة اشتد الضغط النفسي والسياسي في الممارسة الحكومية ضد اليهود، سواء في منع فرص التوظيف للخريجين، أم العمل للراغبين فيه، أم في الدراسة لخريجي المتوسطة والإعدادية عنهم، مما أشاع الإحباط والخوف في صفوف يهود العراق. كما ساهمت التحقيقات الجنائية باعتقال وتعذيب الكثير من اليهود بذريعة التجسس لإسرائيل. كما نشأ نوع من العزلة الاجتماعية عليهم، بفعل الأجواء السياسية الضاغطة عليهم وعلى المجتمع في آن واحد. وخلال هذه الفترة تم عقد صفقة مساومة كبيرة بين حكومات بريطانيا وإسرائيل والعراق وبدعم من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت بمثابة خيانة فعلية لليهود العراق نتج عنها ترحيلهم، وبشئى السبل المشروعة وغير المشروعة، إلى إسرائيل. ففي شهر أيار من عام 1950 صدر القانون رقم 1 حول خيار إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيات والعراقيين أولاً، ثم صدر القانون رقم 2 حول تجميد أموال اليهود المسقطنة عنهم الجنسية العراقية. عندها بدأت الهجرة الواسعة التي شملت 130 ألف مواطنة ومواطن عراقي يهودي، إضافة على ما يقرب من 10000 مواطنة ومواطن يهودي هاجروا بسبل مختلفة بفعل الأوضاع السيئة

---

<sup>24</sup> كتب الدكتور خضر بصون بشأن الموساد ما يلي: الموساد في فترة الاربعينيات ليس نفس الموساد كما نعرفه الآن. ذلك الموساد كان يطلق على *Institution for Immigration B = Mossad LeAliyah Bet* وتأسس في عام 1938 كان جل اهتمامه بالهجرة غير الشرعية في زمن الانتداب البريطاني لفلسطين. بعد قيام دولة إسرائيل وفي 1949 وييعاز من بن غوريون تم تأسيس *HaMossad leModi' in uleTafkidim Meyuhadim = Institute for Intelligence and Special Operations* = معهد الاستخبارات والعمليات الخاصة.

والميرية التي وضعوا فيها حينذاك. وقد كانت خسارة فادحة لعراق وليهود العراق. ولا بد من قول الحقيقة في أن أغلب يهود العراق لم يكونوا راغبين ترك وطنهم العراق وبعد مرور أكثر من 2700 سنة عن وجود أجداهم بالعراق. وقد شهدت الدول العربية الأخرى حالة مماثلة لحالة العراق في تهجير اليهود. لقد أشارت هذه الحالة إلى المخاطر الفعلية على الشعوب حين يسقط الاستعداد على قبول التنوع القومي والديني، ويسود الشعور القومي أو الديني العنصري والتمييز الديني ومناهضة أبناء وبنات القوميات وأتباع الأديان الأخرى في البلاد. والجدول الآتي يشير إلى التطور في عدد السكان اليهود بالعراق خلال الفترة الواقعة بين 1920 - 1954.

### جدول رقم 3

#### التوزيع الجغرافي لتطور سكان العراق من اليهود بين 1920-1954

المدن	1920	1947	1954
بغداد	50.000	39.783	3742
سامراء	300	غ.م.	لا يوجد
ديالى	1.689	1.416	44
الكوت	381	194	39
الديوانية	6.000	403	95
الشامية	530	غ.م.	لا يوجد
الحلة	1.060	956	18
الدليم	2.600	749	15
الموصل	7.639	5.041	13
أربيل	4.800	1.493	لا يوجد
كركوك	1.400	2.048	5
السليمانية	1.000	1.105	6
البصرة	6.938	5.311	445
العمارة	3.000	1.101	17
المنتفك	160	341	22
كربلاء	-	غ.م.	لا يوجد
المجموع	87.48	59.96	4460
	7	4	0

قارن: 1. رجوان، نسيم، موجز تاريخ يهود العراق. مصدر سابق، ص 129/128.

2. عبد الله، سعد سلمان. النشاط الدعائي لليهود بالعراق. مكتبة مدبولي. القاهرة. ط

1.1999.

ص 88، و195 و243.

راجع: كاظم حبيب، يهود العراق والمواطنة المنتزعة. دار المتوسط، إيطاليا، 2015.

من تبقى من يهود العراق عوملوا بشكل أفضل في أعقاب إسقاط النظام الملكي وقيام الجمهورية، حيث اعتبروا الفترة بين 1958-1962 من أحسن الفترات بالنسبة لليهود العراق وأطلقوا عليها بالفترة الذهبية.

إلا إن هذا الوضع قد تغير من جديد بوصول التحالف البعثي القومي إلى الحكم في العام 1963 حيث مارسوا شتى أساليب التمييز والقهر والاضطهاد ضد المواطنين اليهود. وكان الإجراء الأسوأ ما حصل لهم في فترة حكم تحالف البعثيين والقوميين، إذ عمد النظام إلى سحب الهوية المدنية العراقية من اليهود الباقين وإبدالها ببطاقات صفراء، وكان ذلك هو الإجراء الأقوى أثراً وإساءة في نفوس الطائفة اليهودية، كما يؤكد اسحق شاؤول موشي: قررت الحكومة في زمن البعث سحب هوياتنا التي تدل على عراقيتنا أسوة بالآخرين واستبدالها ببطاقة صفراء وهذا القرار كان خطوة حاسمة لأزاله تاريخ يهود العراق، وكانت نتائجه مؤلمة، فهو اعلان للجميع ولأول مرة في التاريخ المعاصر إن اليهودي لا يمكن ان يكون مواطناً حتى وإن عاش في العراق المدة التي عاشتها الطائفة وهي 2600 عام". (موقع قصص الشتات اليهودي كما يرويها هاربون من العراق، بتاريخ 29 أيار/مايس 2017). كان هذا الإجراء شبيهاً بالإجراء العنصري والدموي الذي مارسه الحزب النازي والدكتور العنصري أدولف هتلر بألمانيا حين قرر وضع النجمة السداسية اليهودية بلون أصفر على ملابس اليهود لتمييزهم عن باقي البشر وعزلهم عنهم. وقد استخدم جهاز الغستابو الألماني نفس الملصق الذي وضع على صدور المعتقلين في معسكرات الاعتقال النازية أيضاً. وفي المعتقلات النازية ومحارقها وعبر أساليب التعذيب والتجويد والقتل الأخرى بألمانيا والدول الأوروبية الأخرى، التي كانت تحت الاحتلال النازي، قُتلَ النازيون العنصريون الفاشيون ستة ملايين إنسان يهودي ويهودية من مختلف الأعمار والجنسيات. لقد كانت جرائم إبادة جماعية لليهود في أوربا مارسها العنصريون الألمان وأُطلق عليها بالكارثة، أو "شواه" بالعبرية، أو الهولوكوست. 25

أما الفترات اللاحقة فكانت أقسى الفترات على يهود العراق، بعد أن وصل حزب البعث بالعراق ثانية إلى السلطة في العام 1968، حيث بدأ ممارساته العنصرية المناهضة لليهود العراق، سواء باعتقالهم وتعريضهم

---

25 ملاحظة: كتب لي الصديق الأستاذ الدكتور نسيم قرزاز، العراقي الولادة والتقدمي النهج، من إسرائيل الرسالة الآتية بتاريخ 2018/04/09 تعليقاً على هذه الدراسة المكثفة عن أوضاع المكونات الدينية غير الإسلامية بالعراق: تحيات لعزيري الأخ الفاضل د. كاظم حبيب المحترم قرأت بإمعان ما جاء بالمادة وليس بوسعي إلا الإشادة بها وبمحررها. برأيي أن هناك نقطتين مهمتين يجب لفت النظر اليهما:

1- من الجدير بالإشارة أو المقارنة بين وضع اليهود بدار الإسلام وحالهم في أوربا المسيحية. فبالرغم من المرتبة الدونية التي فرضت الشريعة الإسلامية على أهل الكتاب (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وبالرغم من المآسي والإجحاف ا ضدهم من قبل الحكام المسلمين في فترات مختلفة، لم ترتكب ضدهم في الديار الإسلامية مجازر بالحجم التي كانت عليه في الدول المسيحية ولم تشكل ضدهم محاكم تفتيش لإرغامهم على التخلي عن دينهم واعتناق الدين المسيحي.

2- بعكس الدين الإسلامي والدين المسيحي لا يمارس الدين اليهودي حملات تبشير، فعلى الذي يرغب بالتهود أن يجتاز طريق طويلة وغير سهلة من شروط وفرائض يتوجب عليه الإلمام والقيام بها.

مع فائق التقدير والاحترام

د. نسيم قرزاز

للتعذيب أم بابتزازهم مالياً ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة. ففي العام 1969 نظم حزب البعث ومجلس قيادة الثورة وأجهزة الأمن العراقية تهمة جبانة ضد 13 عراقياً، 9 منهم يهوداً وآخر والده يهودي و3 آخرين من المسلمين والمسيحيين، باعتبارهم عملاء لإسرائيل والصهيونية وحكم عليهم جميعاً بالإعدام شنقاً وعلقت جثثهم في ساحة التحرير في وسط بغداد في يوم الاثنين المصادف 27 كانون الأول/ديسمبر، وحضر مراسم الإعدام صدام حسين، الذي كان حينذاك نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة. ويشير الكاتب قاسم محمد الحساني إلى هذه الحادثة بقوله: "في مثل هذا الشهر (كانون الأول، ك، حبيب) من عام 1969 أقدم نظام البعث على اعدام عدد من التجار العراقيين وعدد من اليهود الموجودين في العراق بتهمة التجسس على العراق لصالح إسرائيل وبلغ عدد الذين اعدموا بين 1968-1973 حوالي خمسين شخصاً، تم تعليقهم في ساحة التحرير ببغداد وساحة أم البروم بالبصرة، ومن أبرزهم عزرا ناجي زلخا والبير حبيب توماس (مسيحي) ونعيم خضوري وداود حسقيل وداود غالي ويعقوب كرخي وفؤاد كباي وصباح الحكيم كذلك اعدم التاجر المسلم الشيعي عبد المحسن جار الله ومحمد عبد الحسين جيتا الشيعي من باكستان وكذلك التاجر المسيحيان زكي اندراوس زيتو وسامي حبيب توماس". (راجع: قاسم محمد الحساني، لماذا أعدم نظام البعث التجار واليهود عام 1969؟ موقع كتابات الثلاثاء 10 كانون ثاني/يناير 2017). وفي أوائل السبعينيات جرى قتل خمسة من أفراد عائلة قشقوش اليهودية العراقية في دارهم ببغداد من قبل أجهزة الأمن بتاريخ 12 نيسان/أبريل 1973، ونجت ابنة واحدة من العائلة كانت خارج البيت، ولكنها أصيبت بصدمة نفسية، حين رأت جثث أفراد عائلتها مقطوعي الرؤوس مرمية في ساحة الدار، وهي ما تزال تعاني منها حتى الآن وتعيش بالولايات المتحدة الأمريكية. (راجع المصدر السابق نفسه). ولم تنشر الحكومة أي سبب لقتل هذه العائلة أو من هم القتلة، ولكن الناس عرفت بأن الجاني هو الحكم البعثي ذاته. لقد أرهقت هذه الأحداث بقية يهود العراق فبدأوا بالمغادرة بطرق شتى حتى لم يبق منهم إلا العدد القليل في عهد الدكتاتور صدام حسين، إذ لم يعد هناك ما يشدّهم إلى وطنهم العراق، فحالات الاعتقال والتعذيب والاختطاف والابتزاز والقتل أصبحت حالة يومية في حياة يهود العراق. 26 وعلى وفق المعلومات المتوفرة لم يعد بالعراق في نهاية العام 2017 سوى

---

26 كتب لي الزميل الدكتور خضر بصون بشأن عدد السكان اليهود استناداً على ما جاء في كتاب الدكتور نسيم قرزاز "نهاية الجالوت" ما يلي: "يُعتقد ان عدد اليهود بعد التسقيط بلغ بين 10000-12000 نسمة (في شباط 1952) أعلن الأمين العام لمراقبة وإدارة أموال اليهود المسقطه عنهم الجنسية العراقية إن عددهم نسمة 12000، اما منير بصري فيقدر عددهم بما لا يربو على 1000 نسمة، اما وكالة الانباء العراقية ففي أيار 1952 فقد ذكرت إن عدد الذين احتفظوا بالجنسية العراقية يتراوح بين الخمسة والستة آلاف نسمة. في الإحصاء السكاني لسنة 1957 ذكر إن عدد اليهود 4906 نسمة، اما وفقاً للإحصاء الرسمي (حينما صدرت الهوية الصفراء = عدم اسقاط الجنسية) فهو 2974 نسمة، إذ يعتبر إحصاء 1957 هما الرقمان الصحيحان بحلول 1976 وهروب اغلبية اليهود في صيفي 1970 و1971، إذ لم يبق منهم أكثر من 300 نسمة والآن على عدد أصابع اليد." رسالة موجهة إلى الكاتب بتاريخ 2018/04/16، كاظم حبيب

مجموعة لا يزيد عدد افرادها عن عدد أصابع اليدين، وهم من كبار السن، كما أغلقت منذ سنوات كثيرة جميع دور العبادة اليهودية (الكنيس) بالعراق، بما فيها الكنيس الكبير في البتاوين.

لا ينفي أحد وجود جماعة من القوميين المتطرفين اليهود الذين آمنوا بالصهيونية منذ العشرينات من القرن العشرين، وازداد عددهم في الأربعينيات بعد أحداث الفرهود، ولكنهم كانوا قلة قليلة جداً، ولم يكونوا مؤثرين على فكر وحياة يهود العراق، إذ إن غالبية يهود العراق وأكثر من 90% منهم، كانوا يعشقون الوطن العراقي وكانت لغة الأم عندهم العربية، ولم يكن الكثير منهم يعرف أو يجيد العبرية بجوار العربية.

إن تغييب يهود العراق عن لوحة الموزاييك العراقية أخلت بألوان اللوحة الجميلة والزاهية، وتعتبر خسارة فادحة لسكان العراق، فقد خسروا الشعب العراقي، كما أنهم خسروا شعبهم بالعراق. هذا هو شعور الغالبية العظمى من العراقيين ومن يهود العراق ويهودياته.

## الفصل الثاني

### الكوارث وحرب الإبادة ضد الآشوريين والكلدان والسريان بتركيا والعراق

إلى أحببتنا، إلى مواطناتنا ومواطنينا الآشوريين والكلدان والسريان، في الذكرى السنوية الحزينة والأليمة نقدم التعازي القلبية لما حل بعائلاتكم في منطقة حكاري بتركيا من مجازر بشعة وإبادة جماعية مماثلة لما تعرض لها الأرمن مع بدء الحرب العالمية الأولى وكذلك في الفترات اللاحقة، مما أجبر الأجداد والآباء والأمهات على مغادرة مناطق سكناهم والهجرة الواسعة إلى العراق وإيران. وبالعراق الحديث تعرض السكان الآشوريين والسريان إلى مجازر بشعة في دياربون وسهل سميل بنينوى. في الرابع والعشرين من شهر نيسان/أبريل من كل عام يحيي الآشوريون السريان ذكرى هذه المجزرة الأليمة. نشاركهم الحزن ونطالب الحكومة التركية لا الاعتذار لهم فحسب، بل وتعويضهم، كما نطالب الحكومة العراقية بالاعتذار لهم لما حل بهم من محنٍ ومآسٍ وكوارث. ثم كانت مجزرة الكلدان في سوريا / العراق في العام 1969، إنها مجازر ومآتم متلاحقة!!

تبنّى والآشوريون، الكلدان، والسريان، وهم من أحفاد أقدم شعوب العراق بعد السومريين والآشوريين والآكديين، الدين المسيحي منذ القرن الأول للميلاد وساهموا في بناء الحضارة العراقية القديمة، حضارة آشور وبابل، وكذلك الحضارة العربية في عراق الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، رغم ما عانوه من تمييز وتهميش وإقصاء من جانب أغلب الخلفاء والسلاطين والحكام العرب. وكانت الفترة الأموية اقل وطأة على المسيحيين من الفترات اللاحقة ولعوامل كثيرة. الكثير من القرى والأرياف والمدن بالعراق التي يسكنها النبط قد تبناوا المسيحية أيضاً وانتشرت بينهم، وأقيمت الكثير من الكنائس والأديرة في وسط وجنوب العراق، إضافة إلى شماله وغربه. كما تبنى الكثير من العرب في الحيرة مثلاً المسيحية. كان أغلب المسيحيين والمسيحيات الذين وجدوا بالعراق قبل الحرب العالمية الأولى هم كلدان وسريان مسيحيون وأرمن. ومع بداية الحرب العالمية الأولى تعرض السكان الآشوريون والكلدان والأرمن من رعايا الدولة العثمانية، ومنها منطقة حكاري، إلى عمليات اضطهاد جديدة، تحولت إلى حملات إبادة جماعية. تشير الأبحاث التي تعرضت لحملات الإبادة التي نظمت ونفذت ضد المسيحيين بمختلف طوائفهم أثناء وجود الدولة العثمانية، إلى أن الآشوريين والسريان قد تعرضوا في العقد الأخير من القرن العشرين إلى حملة عسكرية نفذت فيها مجزرة رهيبة راح ضحيتها الآلاف من الآشوريين والسريان الأبرار. وتُد شاركَ في هذه الحملات القوات التركية والجندرية وفرق الفرسان الحميدية. وهذه الفرق شكلت بالأساس بمرسوم صدر عن السلطان عبد الحميد الثاني في كانون الثاني/يناير عام 1890 ونص على تشكيل فرسان (خيالة) من الكُرد في كُردستان. وقد نفذ هذا القرار في كانون

الثاني/يناير من عام 1891.27 وهذه الفرق ساهمت في المجزرة التي نظمها السلطان عبد الحميد الثاني ضد الآشوريين والسريان في الفترة الواقعة بين 1895-1898، في المدن ذات الأغلبية المسيحية التالية: أورھوي (أورفه أو الرھا) وآمید (ديار بكر) وماردين وغيرها من القصبات التابعة لهذه المدن الرئيسية. وقد راح ضحيتها الآلاف من رعايا الدولة العثمانية.

أما الحملة الثانية فقد وقعت بين عامي 1914 و1915 في منطقة حكاري باعتبارها المنطقة الرئيسية للسكان الآشوريين.28 وتشير التقديرات إلى أن عدد ضحايا الإبادة الجماعية ضد الآشوريين تجاوز النصف مليون من النساء والرجال والأطفال الآشوريين السريان. وفي ذات الفترة نفذت حملة الإبادة الجماعية ضد الأرمن، وهم من أصل أهل البلاد، واسعة جداً وشاملة وهمجية، إذ بلغ عدد ضحاياها أكثر من مليون إنسان أرمني مسيحي ومسيحية. ولم ينج منهم إلا القليل الذي فرّ إلى العراق أيضاً.

ورغم الوعود التي قطعت للآشوريين والسريان من جانب الدولة البريطانية في إسكانهم بالعراق، لم يتم الإيفاء بها. وعانى الآشوريون بشكل خاص الأرمن، مما دفعهم إلى رفض الحلول التي طرحت عليهم، وطرخوا حلولاً رفض الحكم العراقي تنفيذها، مما أدى إلى حصول صدمات هنا وهناك بسبب احتجاجاتهم. وقد استغل الحكام القوميون العرب الموقف المتشدد للآشوريين فشنوا حرباً شعواء ضدهم أدت إلى تنفيذ مجزرتين بشريتين نفذتا غدرًا في العام 1933 في قرية "سُمَيْل" بسهل نينوى والأخرى بـ "ديرابون" على الحدود العراقية السورية، أدت إلى قتل غادر للمئات من الرجال والنساء والأطفال، كما أصيب الكثير من الآشوريين، ولاسيما الرجال الآخرين بجروح في المجزرتين.

وقبل ذلك، وفي فترة وجود فيصل الأول على عرش البلاد، لم يتعرض المسيحيون الكلدان والسريان والأرمن إلى تمييز ملموس، وكانوا يعملون بشكل طبيعي وفي مجالات كثيرة كباقي المواطنين. إلا إن تنامي ذلك بعد وقوع المجزرتين ضد الآشوريين، وفي فترة وجود فيصل ملكاً على عرش العراق، رغم وجوده للمعالجة في سويسرا، وبسبب التحاق الآشوريين في العام 1920/1921 بقوات الليفي، التي شكلها البريطانيون بالعراق في العام 1915، وكان أغلبهم في البداية من العرب، ومن ثم من الكرد والترکمان والإيزيدية وغيرهم. وغالباً ما يجري الحديث عن الآشوريين في قوات الليفي بهدف الإساءة لهم، في حين إن أول مجموعة ممن جندهم الرائد جي أي أيدي (J. I. Edie) كان أفرادها من عرب الناصرية، ثم جند لها بعد ذلك الكرد والترکمان والإيزيدية والآشوريين. جاء في كتاب العميد جي. كيلبرت براون (Brigadier Gilbert Brawne) في كتابه الموسوم "قوات الليفي العراقية" بهذا الصدد ما يلي: "في منطقة قبلية خالصة تمكن ولأول مرة الرائد ايدي (J. I. Edie)، وهو ضابط استخبارات بارع منسوب إلى الجيش الهندي - البريطاني ومنسب للعمل في المنتفك من تجنيد (40) أربعين من الخيالة العرب من أبناء العشائر المحيطة في منطقة الناصرية. كانت

---

27 أنظر: هوكر ظاهر توفيق، الكرد والمسألة الأرمنية 1877-1920. دار الفارابي - بيروت، ودار أراس - أربيل، إقليم كردستان العراق، 2014.

28 أنظر: جميل حنا، مذابح إبادة الآشوريين في حكاري، الحوار المتمدن، العدد 4472 بتاريخ 2014/06/03.

هذه البداية في استخدام بعض السكان المحليين، ولقاء أجر، لتنفيذ واجبات تحت اشراف وأمرة ضباط الاستخبارات البريطانيين.<sup>29</sup> ثم يواصل كيلبرت في مكان آخر فيكتب ما يلي: "هذه القوة الصغيرة التي تم تجنيدها من قبل الرائد ايدي، ...، قام عليها البناء تدريجياً، وبعد عدة تغيرات في التسميات تم تسميتها في النهاية باسم قوات الليفي Levies، وبعد أن كانت البداية أربعون رجلاً من عرب الناصرية أصبح تعدادها فيما بعد (6199) رجلاً، وذلك في شهر مايس من عام 1923، ..، والأهم من ذلك كله أنها كانت في البداية قوة عناصرها في الغالب كانوا من العرب وهم يشكلون غالبية السكان لتصبح مع الأيام قوة تتألف من عناصر خليطة من العرب والأكراد واليزيدية والآثوريين إلا انها في النهاية أصبحت قوة عناصرها وبشكل تام من الآثوريين.<sup>30</sup> ومن هنا لا يمكن القول بأن العداء للآثوريين جاء نتيجة انخراطهم في قوات الليفي، رغم الاستخدام السيء لهم من قبل القوات البريطانية حينذاك.

المشكلة الكبيرة والحقيقية التي عانى منها المسيحيون بالعراق كانت وما تزال ناتجة عن موقف أيديولوجي قومي شوفيني وديني تمييزي متخلف وغير متنور إزاء أتباع الأديان الأخرى ورفض الآخر من قبل الحكام المسلمين. وكان هذا السلوك المناهض لأتباع الدين المسيحي يُنقل إلى أوساط الشعب أيضاً مقروناً بالتحريض ضدهم، مما كان يعرضهم إلى التهميش، ومنه قلة التعيينات في المواقع المهمة من أجهزة الدولة والسلوك الدبلوماسي والمدارس العسكرية على سبيل المثال لا الحصر، أو ما يقرر عن الدين المسيحي وبقية الديانات الأخرى غير الإسلام في المناهج والكتب المدرسية... أو استخدام كلمات الإساءة المتعمدة كقول "انت مسيحي كافر"، أو "تصراني" كما استخدمت هذه الكلمة عصابات داعش الإجرامية، ولكن ليس وحدهم، بل الكثير من المسلمين لا زالوا يستخدمونها لأنها وردت في القرآن!

في أثناء وبعد فشل محاولة انقلاب شباط عام 1959 بالموصل التي قام بها العقيد عبد الوهاب الشواف، ومعه القوى القومية الناصرية والبعثية والإخوان المسلمين والرجعيين، تعرض المسيحيون إلى الملاحقة والاضطهاد والقتل والتهجير، حيث أجبر الآلاف منهم على ترك الموصل والهجرة إلى بغداد أو البصرة أو نحو الخارج بذريعة تأييدهم لعبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي. وبعد انقلاب شباط عام 1963 تعرض المسيحيون إلى الاضطهاد ثانية، للأسباب السابقة، مما أدى إلى هجرة جديدة لهم إلى الولايات المتحدة وكندا وأوروبا وأستراليا. ثم نفذ البعثيون مجزرة جديدة ضد السكان المسيحيين الكلدان في قرية سوريا والتي استشهد فيها عدد كبير من المسيحيين والمسيحيات على أيدي نظام البعث الفاشي في العام 1969. جاء في مقال عن هذه المجزرة في موقع Nala4U.com ما يلي: "في السادس عشر من ايلول من كل عام تستذكر الأمة الآشورية مذبحه سوريا ففي مثل هذا اليوم قبل أكثر من سبعة واربعين سنة وجهت فوهات البنادق والرشاشات إلى ابناء أمتنا من أهل سوريا نساءً ورجالاً كباراً وصغاراً ولم ينتج منها حتى كاهن القرية

---

<sup>29</sup> أنظر: العميد جي. كيلبرت براون، قوات الليفي العراقية 1915-1932، ترجمة وتحقيق د. مؤيد إبراهيم الوندائي، مراجعة رفيق صالح، بنكه ي زين-السليمانية، 2006، ص 15.  
راجع أيضاً: أبرم شيبيرا، قوات الليفي العراقية في الوثائق البريطانية العسكرية، موقع عنكاوة، 2010/10/18.

<sup>30</sup> المصدر السابق نفسه.

ومختارها فذبح وقتل أبرياء لا ذنب لهم سوى كونهم اناسا فقراء آمنين يعيشون في قريتهم الوداعة لم يؤذوا أحداً ولم يكونوا ضد أحد." ويشير الكاتب إلى أن السبب في ارتكاب هذه المجزرة البشعة التي كان فيها مسلمون أيضاً إلى جانب أكثرية مسيحية، هو "انفجار لغم أرضي تحت إحدى العجلات العسكرية للقافلة ولم يتسبب بأية أضرار بشرية. وكانت القافلة بقيادة "الملازم عبد الكريم خليل الجحيشي المعروف بوحشيته وسلوكه العدواني تجاه القرويين من أهالي القرى الواقعة تحت رحمة أو إدارة هذا الفوج العسكري".<sup>31</sup>

وإذا كان التمييز والتهميش والإقصاء قد تعرض له المسيحيون في فترة حكم البعث في الثمانينات والتسعينات والتي فرضت عليهم هجرة واسعة حقاً، ولاسيما في فترة الحروب العديدة التي خاضها النظام العدواني والتوسعي العراقي في الداخل والخارج، فإن أكبر اضطهاد وقع وتهجير قسري تعرض له المسيحيون والمسيحيات برز في فترة الحكم الطائفي، الذي أقيم بالعراق في العام 2003/2004، أي بعد إسقاط دكتاتورية البعث وصدام حسين الغاشمة، حيث لوحق المسيحيون والمسيحيات في الوسط والجنوب وبغداد والموصل من قبل الميليشيات الطائفية المسلحة من جهة، وسكوت مطبق، وتأييد فعلي من الأحزاب الإسلامية السياسية، التي كانت تمتلك تلك الميليشيات الطائفية المسلحة من جهة أخرى، إضافة إلى قوى القاعدة حينذاك، كما تعرضت أغلب كنائسهم إلى التفجير وإشعال الحرائق فيها وقتل الكثير من المصلين أثناء تأديتهم الصلاة، مما أجبر على اثر ذلك الألوف منهم للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وكندا وأوروبا والأردن. ثم كان الهروب الواسع نتيجة إرهاب وطمع الدواعش الذين اجتاحوا الموصل ومن ثم بقية مناطق سهل نينوى منذ منتصف عام 2014 وحتى تحرير الموصل ونيينوى عموماً في نهاية العام 2017. وقد نزح من الموصل قسراً جميع المسيحيين وتوجهوا إلى دهوك وكنكاوة وأربيل بإقليم كردستان العراق، وإلى مناطق أخرى من العراق هرباً من قتل الدواعش، ومن محاولة فرض الإسلام عليهم عنوة، إضافة إلى سلب ونهب كل ما يملكون من أموال منقولة وغير منقولة.

لم يكن اجتياح الموصل عملية معقدة، إذ كان الفساد، ولاسيما في صفوف القوات المسلحة والشرطة وأجهزة الإدارة المحلية، والإرهاب، قد عمّ الموصل وبعض مناطق سهل نينوى على أيدي الداعشيين والقوى المتطرفة في المدينة والمحافظات من جهة، وانسحاب القوات المسلحة العراقية بقرار من أعلى سلطة في القوات المسلحة العراقية، من رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، قد جعل مدينة الموصل ومن ثم محافظة نينوى، تسقط في ساعات ودون مقاومة في أيدي الداعشيين القتلة. بيد هؤلاء الأوباش الذين مارسوا عمليات إبادة جماعية وتطهير عرقي وديني وسبي واغتصاب وبيع النساء الإيزيديات بسوق النخاسة الإسلامي، شملت أتباع جميع الأديان والمذاهب، ولاسيما الإيزيديون والمسيحيون والشبك والترکمان بالموصل وعموم محافظة نينوى، كما أنهم مارسوا الاضطهاد والقسوة والعدوانية في التعامل مع المواطنين والمواطنات السنة ممن رفض الاستجابة لفكرهم المتطرف والعدواني أو لم يتناغم مع سياساتهم.

31 مجزرة سوريا، موقع Nala4U.com، 17 أيلول/سبتمبر 2016.

من المشكلات الكبيرة الأخرى التي تعاني منها العائلات المسيحية من مختلف الطوائف بالعراق تبرز في ادراج بلدات ومناطق مسيحية خاصة في سهل نينوى ضمن المناطق المتنازع عليها بين حكومة بغداد وحكومة الإقليم (والتي أشير إليها بالمادة 140 في الدستور العراقي).. مما جعلها منطقة تنافس وصراع.. وعقد الصفقات المعلنه والمستورة..، ولا شك في أن ضحيتها دائما كانوا ولا زالوا هم أهالي هذه المناطق، والمناطق كلها لا زالت منكوبة. وقد ترك هذا الصراع، ولا زال، تداعيات خطيرة جدا على وجود هذا المكون الأصيل. وكما في جميع الشعوب والقوميات قوى قومية متطرفة، فإن المعلومات المتوفرة تشير إلى معاناة المسيحيين من تطرف قوى قومية كردية أيضاً بإقليم كردستان العراق، إذ لا يقل خطورة في بعض مراحل وممارساته عن التشدد الديني.. والامثلة كثيرة عن التداعيات الخطيرة على هذا المكون، لاسيما على أولئك الذين تقع جغرافيتهم ضمن جغرافية الإقليم. وقد كتب لي أحد المثقفين المسيحيين البارزين حول أوضاع المسيحيين ومعاناتهم يقول:

" كما أن هناك سبباً آخر في هذا الصدد يتمثل في جعل الكنيسة ورجال الدين المرجعية الفعلية للمكون المسيحي، خاصة في الإقليم، وعادة هذه الطبقة الدينية، التي لا تمتلك خبرة سياسية وإدارية ولا دراية بالحاجات الحقيقية للمكون المسيحي، لأن هذه الامور هي خارج خبرتها وتخصصها، وهي في معظم الاحيان تراعي مصالحها الكنسية الخاصة وتحابي السلطة وتخضع لرغباتها. بعيدا عن مصالح المكون المسيحي، مما يؤدي الى تهيمش الإرادة الحقيقية لهذا المكون."<sup>32</sup>

والمعلومات المتوفرة تشير إلى المعاناة الكبيرة للمسيحيين بالعراق خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدكتاتورية وفي ظل الدولة الطائفية الهشة التي أقامها التحالف التساومي بين الولايات المتحدة وإيران بالعراق. فالمعلومات التي وفرتها الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى استشهاد "عدد كبير من الشعب المسيحي بلغ 2220 شخصاً بين عام 2003 ولغاية شهر آذار من عام 2018". أما عدد الكنائس والمزارات والأديرة التي جرى الاعتداء عليها في العراق فقد بلغ 167 كنيسة بين عامي 2003- 2018. منها 35 كنيسة دُمرت على أيدي الداعشيين المجرمين بين سنة 2014 - 2017.<sup>33</sup> وخلال الفترات العصبية من تاريخ العراق الحديث برز نزوح السكان المسيحيين من مناطق سكنهم أو اضطرارهم للهجرة إلى خارج العراق على وفق ما ورد في الجداول الإحصائية الرسمية. ويمكن للجدول التالي ان يوضح ذلك.

<sup>32</sup> المصدر: موجود في أرشيف الكاتب.

<sup>33</sup> المصدر السابق نفسه.

جدول رقم (4)

جدول يشير إلى أعداد ونسب السكان المسيحيين في إجمالي سكان العراق

السنة	إجمالي سكان العراق/نسمة	عدد السكان المسيحيين	نسبة المسيحيين %
1890	1.830.000	39.850	2,2
1914	2.200.000	32.493	1,5
1920	2849.282	79.779	2,8
1927	2.968.000	148.400	5,0
1934	3.293.740	164.687	5,0
1947	4.564.000	149.656	3,28
1957	6.206.017	204.226	3,3
1965	8.067.230	250.084	3,1
1977	12.129.497	606.474	5,0
1987	18.644.000	932.200	5,0
1997	22.046.000	734.131	3,3
2003	24.683.313	814.549	3,3
2005	28.000.000	560.000	2,0
2006	29.041.753	580.835	2,0
2007	29.682.000	593.640	2,0
2008	30.680.190	613.603	2,0
2013	34.000.000	450.000	1,3
2016	36.000.000	350.000	0,97
2017	37.139.519	300.000	0,8
2018/			

قارن: كاظم حبيب، مسيحيو العراق.. أصالة.. انتماء، مواطنة، دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق 2018.

أنظر أيضاً: هرمز النوفلي، الإحصائيات الرسمية للسكان وعدد المسيحيين بالعراق عبر التاريخ، في الثلاثين من أيلول 2009. بلا ذكر الموقع.

والجدول يكشف بوضوح إلى أن العراق فقد، خلال الفترة الواقعة بين 2003 – 2018، عدداً كبيراً من سكانه العراقيين المسيحيين والمسيحيات ومن مختلف طوائفهم الدينية، إذ بلغ 514000 نسمة، وهو أمر بالغ الخطورة على وجود ومستقبل مسيحي ومسيحيات العراق. ويشعر المتتبع بأن هذا الواقع المزري لم يحرك الحكومة العراقية ولا مجلس النواب، بل استقبلوا كل ذلك بدم بارد وارتياح كبير، حيث يشكل الإسلاميون السياسيون الطائفون من شيعة وسنة الأكثرية الكبرى فيهما، ولم يتخذوا أية إجراءات فعلية لمواجهة هذا النزوح الكارثي، وكأن ما حصل هو بالضبط ما كانت تسعى إليه فعلاً وتبتغي وقوعه، إذ لم تبدأ عمليات ملاحقة المسيحيين وتشريدهم على أيدي داعش أولاً، بل بدأت قبل ذلك على أيدي الميليشيات الطائفية المسلحة الشيعية أساساً، ومن ثم السنية، ولاسيما تنظيم القاعدة ومن ثم داعش ومن لف لقفها.

وقد جرت عمليات قتل لعدد غير قليل من رجال الدين المسيحيين نشير لهم فيما يلي:

"- الشهيد المطران بولص فرج رحو - رئيس اساقفة الكنيسة الكلدانية في محافظة نينوى خطف بتاريخ 29 \ شباط - وقتل في الموصل بتاريخ 13 \ آذار 2008

- الشهيد القس يوسف عادل عبودي - راعي الكنيسة السريانية في بغداد - اغتيل بمسدس كاتم صوت امام عائلته - بتاريخ 5 \ نيسان 2008

- الشهيد الاب بولص اسكندر بهنام - من كنيسة السريان الارثوذكس - خطف ثم قتل وقطع الى اربع قطع - في الموصل بتاريخ 12 \ 10 \ 2006

- الشهيد الاب منذر السقا - من الكنيسة البروتستانتية - خطف ثم قتل في الموصل - بتاريخ 11 \ 11 \ 2006

- الشهيد القس رغيد عزيز متي كني - راعي كنيسة روح القدس الكلدانية في الموصل - بتاريخ 3 \ حزيران 2007 - قتل مع ثلاثة من الشمامسة .. وهم:

الشهيد الشماس وحيد حنا ايشوع

الشهيد الشماس بسمان يوسف داود

الشهيد الشماس غسان عصام بيداويد

الشهيد سمير عبد الاحد - استشهد في مدينة الموصل اثر عملية اختطاف سيادة المطران بولص فرج رحو - بتاريخ 29 \ شباط 2008

الشهيد فارس جرجيس خضر - في نفس التاريخ

الشهيد رامي حكمت بولص - في نفس التاريخ

الشهيد الاب متي يوسف ونجله فادي - استشهد اثر حادث انفجار - في مدينة الموصل - بتاريخ 2 \ 12 \ 2008.

الشهيد الشماس الشاب عبد الخالق باكوس موسى - استشهد بتاريخ 7 \ 2 \ 2007". (راجع: كاظم حبيب، مسيحيو العراق، أصالة.. انتماء.. مواطنة.. دار نينوى، دمشق، 2018.، إضافة إلى استشهاد أكثر من 65 امرأة بأعمار مختلفة خلال ذات الفترة. (المصدر السابق نفسه).

## الفصل الثالث

### العراقيون الأرمن

على الدولة التركية الحالية أن تعترف بالإبادة الجماعية التي نفذتها الإمبراطورية العثمانية في العام 1915 ضد الأرمن، التي كلفت هذا الشعب عدداً يتراوح بين مليون ومليون ونصف إنسان من الرجال والنساء والأطفال الأرمن. إنها ذكرى حزينة ومؤلمة. إن عدم الاعتراف بها من جانب الحكومات التركية المعاقبة وعدم إدانتها يسهم في ممارسة الحكومة التركية الحالية وديكتاتورها الجديد نفس النهج الدموي ضد الشعب الكردي في كردستان تركيا. التعازي إلى أحبنا الأرمن بالعراق والمواساة لما أصابهم في ظل النظام الطائفي المحاصصي المستبد بالعراق...

يمتلك الأرمن تاريخاً طويلاً بالعراق، حيث يشار إلى وجودهم منذ العهد البابلي، وكذلك في العهود الأموية والعباسية والعثمانية اللاحقة. وساهموا مع بقية بنات وأبناء بلاد الرافدين في بناء وتطوير الحضارة الراقدينية. وفي العهد العثماني بالعراق كان الأرمن من الأوائل الذين أدخلوا المدارس التعليمية الحديثة إلى العراق. تبعهم العراقيون اليهود، ومن ثم الطوائف المسيحية الأخرى. وقد سبقوا مدحت باشا في إقامته مدارس بالعراق منذ توليه ولاية بغداد عام 1869 وأنشأ أول مدرسة صناعية فيها عام 1871، كما أقيمت في عام 1896م أول مدرسة ابتدائية للبنات.<sup>34</sup> وكان الحكم العثماني قد أقر حق كل طائفة من الطوائف الدينية بإقامة مدارسها الخاصة.

يشير البحث الموسع عن "نشأة المدارس بالعراق" لأستاذ طه العاني إلى الدور الطبيعي للأرمن في فتح المدارس الحديثة بالعراق، إذ كتب ما يلي: "تعد مدرسة الأرمن للذكور في بغداد من أقدم هذه المدارس، إذ يرقى تاريخ تأسيسها إلى سنة 1270 هـ / 1853م. وفي السنة نفسها تم افتتاح مدرسة الأرمن الأرثوذكس (للبنات). تلاها افتتاح مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي سنة 1296 هـ / 1878 م حيث افتتحتها الطوائف الكاثوليكية الثلاث، إلا أن الدراسة في هذه المدرسة واجهت صعوبات عديدة أدت إلى اغلاقها سنة 1311 هـ / 1893، حيث بادرت كل طائفة من الطوائف المسيحية الثلاث بافتتاح مدرسة خاصة بها".<sup>35</sup> أما الطائفة اليهودية فقد فتحت أول مدرسة لها بالعراق في العام 1864، كما يشير إلى ذلك الكاتب أميل كوهين إذ كتب: في 10 كانون الأول سنة 1864 افتتحت مدرسة الأليانس الأولى في بغداد وقررت أن يكون منهجها علمانيا

34 أنظر: طه العاني، نشأة المدارس بالعراق، مصدر سابق.

35 أنظر: طه العاني، نشأة المدارس بالعراق/ شبكة زدني للتعليم، 8 شباط/فبراير 2015.

فقط بعيداً عن التعليم الديني وشغلت مبنى صغيراً في محلة تحت التكية وكانت أول مدرسة أليانس في المشرق العربي..<sup>36</sup>

وكانت للطائفة الأرمنية بالعراق العديد من الكنائس، إذ تشير المعطيات المتوفرة إلى أن الأرمن بنوا عدداً من الكنائس في كل من بغداد والبصرة والموصل. إذ وجدت ببغداد أربع كنائس هي: كنيسة القديس كريغور المنور قرب ساحة يونس السباعوي - الطيران سابقاً، وهي الكنيسة الأم ومقر المطرانيه، وكنيسة مريم العذراء في منطقة الميدان، وكنيسة القديس كرابيت ضمن مجمع دار العجزة في منطقة الرياض (كمب ساره)، وكنيسة القديسين الشهداء ضمن حدود مقبرة الأرمن الجديدة في حي خان بني سعد. وكانت هناك كنيسة الثالوث المقدس التي شيدت عام 1857م في منطقة الشورجة، وظلت قائمة لفترة مائة عام، ولكنها توقفت عن خدمة المؤمنين عام 1957م، وتم بناء بناية سوق الأرمن التجاري في الشورجة مقابل البنك المركزي على قطعة ارض تابعة للكنيسة.<sup>37</sup> ويشير السيد هامبرسوم أغباشيان إلى أن الأرمن بنوا ثلاث كنائس لهم بالبصرة، ولكن، وعبر العقود المنصرمة، لم يبق منها سوى كنيسة واحدة بنيت في عام 1736، وأعيد إعمارها في أعوام 1905 - 1909، ثم رمت مرة أخرى في عام 1931. أما بالموصل فقد بنيت كنيسة أجميازين المقدسة عام 1857 واستمرت قائمة حتى العام 1968، إذ أقيم على أنقاضها كنيسة جديدة وبالإسم نفسه. ثم بنيت كنيسة أخرى في أحد أحياء الموصل، ولكن نهبت وسرق ما فيها بما في ذلك المرمر، حتى قبل تدشينها، في أعقاب حرب الخليج الثالثة عام 2003، وفي أجواء الفوضى التي سادت البلاد برغبة صارخة من جانب الولايات المتحدة مباشرة بذريعة "لتنفس الشعب نسيم الحرية!". وبنيت في عام 1932 أول كنيسة للأرمن بمدينة كركوك النفطية<sup>38</sup> وكنيسة جديده عام 2016، وهناك كنائس للأرمن في زاخو ودهوك وقرية افزروك في شمال العراق ويتم حالياً بناء كنيسة في اربيل.

وأثناء الحرب العالمية الأولى تعرض الأرمن في الإمبراطورية العثمانية إلى حرب إبادة من جانب السلطات العثمانية أدت، على وفق التقارير الصادرة عن الكثير من مراكز ومعاهد البحث العلمي والمؤرخين، إلى استشهاد عدد يتراوح بين 100000 - 1500000 أرمني من "رعايا" الإمبراطورية العثمانية.<sup>39</sup> أما الكتاب الأزرق الذي أصدرته الحكومة البريطانية في العام 1916، والذي كتب مقدمته المؤرخ البريطاني

---

36 أنظر: أميل كوهين، مدارس الأليانس اليهودية في العراق، مؤسسة الحوار الإنساني، لندن، في 7 شباط/فبراير 2017.

37 أنظر: هامبرسوم أغباشيان. تاريخ الأرمن بالعراق، مصدر سابق.

أنظر أيضاً: الكنائس الأرمنية بالعراق، موقع أرتاك العربي للشؤون الأرمنية، 5 شباط/فبراير 2013.

أنظر أيضاً: بدر الرحال، الأرمن تاريخ عريق بالعراق، موقع ستار تايمز، 2009/01/29

38 أنظر: هامبرسوم أغباشيان. تاريخ الأرمن بالعراق، مصدر سابق.

39 أنظر: أرشاك بودليان، "شهادات غريبة عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية"، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.

أرنولد توينبي فيشير إلى إن عدد القتلى بلغ حتى ذلك الحين 600000 أرمني. 40 وتقدر الحكومة التركية إلى إن عدد القتلى يتراوح بين 300000-500000 أرمني، ورغم ذلك فهي لا تعترف بأن ما حصل على الأراضي التركية، وفي مناطق سكن الأرمن الأصلية، باعتبارهم من اصل سكنة هذه الأرض، كان إبادة جماعية!! وبالتالي فإن الحكومات التركية المتعاقبة تلجأ إلى مقاطعة تلك الدول دبلوماسياً، إذا ما اعترفت بأن ما ارتكبته الإمبراطورية العثمانية ضد الأرمن كان إبادة جماعية. 41

لقد حقق الحكام العثمانيون ليس مجزرة بشرية ضد الأرمن فحسب، بل مارسوا وحققوا عملية "تطهير عنصرية" ضدهم، إن من تبقى منهم على قيد الحياة هرب باتجاه سوريا والعراق طالباً النجاة بنفسه. كتب الدكتور سيار الجميل يقول: "لقد دفع الأرمن العراقيون أسوة بغيرهم من العراقيين النجباء، أثمان باهظة من حياتهم ودمائهم وتشردهم على امتداد تاريخ طويل من وجودهم. ولعل مأساتهم التاريخية تشكل خصوصيتهم التراجيدية ليس في العراق وحده، بل امتدت مع وجودهم عبر التاريخ.. وكان تشردهم التاريخي ديسابورا حقيقية عند مفصل القرنين التاسع عشر والعشرين. قاد موجات كبرى منهم إلى الفناء حتى وصلت بقاياهم نحو الجنوب، ليستقر من بقي منهم على قيد الحياة في العراق، إذ رحب بهم العراقيون ترحيباً خاصاً، وشاركهم عواطفهم ومآسيتهم، فوجد الأرمن في العراق أهالي لهم، وملاذا مطمئناً، ووطناً خصباً بديلاً، وبلداً آمناً، ومجتمعاً راقياً حماهم من كل غوائل التمزق والضياع..". 42

وقبل أن يستقبل العراق جمهرة ممن تبقى من الهاربين الأرمن من جحيم الإبادة الجماعية، كان هناك مواطنون ومواطنات أرمن بالعراق، وهم من أحفاد الأرمن الذين وصلوا العراق منذ مئات السنين وفي فترات مختلفة، بما في ذلك الفترة العباسية في حكم العراق، الذين شكلوا جزءاً عضوياً مهماً من الشعب العراقي وعاشوا بسلام وعلاقات طيبة وإنسانية مع بقية السكان من مختلف القوميات والديانات والمذاهب. وقد ساهم العراقيون

---

40 أنظر: مجدي خليل، القضية الأرمنية بعد مائة عام من الإبادة، الموقع الإلكتروني للتنظيم الأرامي الديمقراطي، 2017/1/1.

41 وجدير بالإشارة الى ان الدول التالية تعترف بالتطهير العرقي "الإبادة الجماعية" ضد الشعب الأرمني حتى الآن وهي: أوروغواي(1965)، قبرص(1982)، روسيا(1995)، يونان(1996)، بلجيكا(1998)، إيطاليا(2000)، الفاتيكان(2000)، لبنان(2000)، فرنسا(2001)، سويسرا(2003)، كندا(2004)، سلوفاكيا(2004)، هولندا(2004)، ليتفانيا(2005)، فنزويلا(2005)، شيلي(2007)، الأرجنتين(2007)، السويد(2010)، وليفيا(2014)، النمسا(2015)، ألمانيا(2015).

كما إنه ماعدا المجالس النيابية لهذه الدول، فقد اعترف البرلمان الاوروبي ايضا عام 1987 بالإبادة الجماعية ضد الشعب الأرمني. \* أنظر: موقع روداو، دول اعترفت بالإبادة الجماعية ضد الأمن. 2017/1/1. \* كذلك تعترف بها 43 ولاية أمريكية، وأقاليم مثل إقليمي الباسك وكتالونيا في إسبانيا، إقليم القرم المنضم حديثاً إلى روسيا، نيوساوث ويلز وجنوب أستراليا في أستراليا، وكيبك في كندا. أيضاً، تعترف بها الأمم المتحدة، البرلمان الأوروبي، ومجلس أوروبا. أنظر: موقع رصيف 22، عشر حقائق حول الإبادة الجماعية. مصدر سابق.

42 سيار الجميل، بروفيسور دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصية والجاذبية والأسرار الحيوية، الحلقة الثالثة: ديسابورا وطن بلا بديل!، طيف اجتماعي عراقي حيوي، الموقع الإلكتروني للدكتور سيار الجميل، في 2010/10/31.

الأرمن باستقبال الأرمن الهاربين من الدولة العثمانية وسعوا للعناية بهم. وقد توزعت المجموعة على أربع مدن أساسية هي بغداد والموصل والبصرة وكركوك، إضافة إلى وجود عائلات قليلة في مدن أخرى مثل أربيل وكرمنليس، أو مدن أخرى في وسط العراق. وكان الأرمن في بدايات وجودهم بالعراق "مقسمين بالنسبة إلى تبعيتهم للسلطات الكنسية، فقد كان أرمن البصرة يتبعون مطرانية (أبرشية) اصفهان، أما أرمن بغداد فكانوا يتبعون الكرسي الرسولي في أيجميازين في أرمينيا.<sup>43</sup> ثم أصبحت الكنيسة الرسولية الأرمنية - الأرثوذكسية في العراق بعد فترة تابعة لجميع كنائسها إلى الكرسي الرسولي في أيجميازين من ناحية الأمور الدينية والطقوس والشعائر وغيرها إلى يومنا هذا. وتشير السفارة الأرمنية إلى إنه و"نتيجة للإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الأرمني عام 1915، فقد هاجر عشرات الألوف من الأرمن إلى العراق. في عشرينيات القرن الماضي سكن العراق، وبالتحديد حوالي 90 ألف أرمني، بعد فترة من الزمن "عاد قسم منهم إلى أرمينيا، بينما هاجر القسم الآخر إلى أماكن أخرى"<sup>44</sup>. وعلى وفق المعلومات المتوفرة عن مخيم اللاجئين الآشوريين والأرمن بالقرب من مدينة بعقوبة في شهر نيسان/أبريل من عام 1918 فقد بلغ عدد الأرمن 41583 نسمة من النساء والرجال والأطفال، وتقلص العدد في المخيم في أيلول من نفس العام إلى 39191،<sup>45</sup> أي قبل تشكيل الدولة العراقية الملكية. وتشير سفارة الجمهورية الأرمنية ببغداد إلى أن عدد نفوس الأرمن بالعراق بلغ في العام 2003 وقبل إسقاط الدكتاتورية عبر حرب الخليج الثالثة 25 ألف نسمة.<sup>46</sup> وهذا يعني بأن هجرة الأرمن من العراق حصلت في فترات مختلفة، وبشكل خاص في فترة حكم البعث، ولكن ليست هناك إحصائيات عن عدد الأرمن الذين تركوا العراق وهاجروا إلى أرمينيا أو إلى أوروبا وأمريكا الشمالية بين تشكيل الدولة العراقية في عام 1921 وسقوط الدكتاتورية البعثية في عام 2003.

عاش العراقيون الأرمن ضمن المجتمع العراقي كجزء منه له خصوصيته، واندمجوا فيه وأصبحوا جزءاً من نسيجه الوطني الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والرياضي. عاشوا كمجموعة قومية أرمنية وكمجموعة دينية مسيحية محترمة. ساهموا في الحياة العامة كباقي العراقيين والعراقيين، وزج منهم في السجون العراقية بسبب انتمائهم للأحزاب السياسية، ولاسيما للحزب الشيوعي العراقي، وبسبب مواقفهم الوطنية دفاعاً عن استقلال وسيادة العراق وضد الرجعية ومصادرة الحريات الديمقراطية والحقوق الأساسية للمواطن والمواطنة بالعراق، سواء أكان ذلك في العهد الملكي أم في العهود الجمهورية اللاحقة في أعقاب سقوط الجمهورية الأولى عام 1963. إلا إن أبشع ما أصابهم جاء في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية الغاشمة، بعد احتلال العراق وإقامة النظام السياسي الطائفي فيه عام 2003.

لقد تعرضت كنائس الأرمن في كل من مدينتي بغداد والموصل إلى التدمير، وإلى اختطاف القساوسة الذين لم يتم العثور عليهم حتى الآن. وفي ظل هذه الأجواء المشحونة بالعداء لأتباع الديانات الأخرى والفوضى والإرهاب التي سادت بالعراق، أُجبر أكثر من 3000 مواطنة ومواطن من الأرمن على مغادرة العراق باتجاه أرمينيا أو الغرب أو الأردن. وفي العام 2007 تم قتل سيدتين أرمنيتين على أيدي قوات أمن استرالية في

43 أنظر: موقع سفارة جمهورية أرمينيا بالعراق، معلومات عامة عن الجالية، بتاريخ 2017/1/1.

44 المصدر السابق نفسه. وإيجميازين مدينة في جمهورية أرمينيا.

45 جي. كلبرت براون، قوات الليفي العراقية 1915-1932، مصدر سابق، ص 287.

46 المصدر السابق نفسه.

منطقة المسبح ببغداد، إضافة لمن قتل على أيدي الميليشيات الطائفية المسلحة والدواعش وعصابات الجريمة المنظمة، إذ بلغ عدد قتلى الأرمن 45 شخصاً، إضافة إلى اختطاف 32 شخصاً آخر منهم بين عامي 2003 - 2007. جاء في مقال الدكتور سيار الجميل السابق الذكر بهذا الصدد ما يلي:

كانت هناك 225 عائلة ارمنية تسكن الموصل قبل 2003، أما بعد 2003، فلم يبق إلا حوالي 10 عوائل فقط قبل ثلاثة أعوام. ولقد حصلت على معلومات خاصة من أعلى المصادر الارمنية في العراق تقول بأن إحصائية عن الأرمن الموجودين حالياً فعليا في الموصل هم 45 عائلة فقط وكل عائلة تتكون من 2 شخص في البيت... أما الباقون، فقد آثروا الهجرة إلى خارج العراق والقسم الآخر أصبح متشتت بين القرى المسيحية في سهل نينوى... هذه الإحصائية من رئيس طائفة الأرمن... وبخصوص الحلة!!! هناك لدى الأرمن أراضي خاصة لهم من قديم الزمان وقبل الهجرة، اذ سكنوا في تلك المناطق آنذاك واليوم أصبحت للوقف لان كل اهلها وناسها سافروا إلى خارج العراق وبقيت الأراضي وقف. ويقول الارشمندرت نارينغ اشكانيان (63 عاما) بينما كان أحد الكهنة يسجل آخر الولادات والوفيات في صفوف الطائفة، "نحن هنا لنبقى فهذه أرضنا أيضا، رغم ما نواجهه من مصاعب في بعض الأحيان". ويبلغ عدد أفراد الطائفة حاليا نحو 12 ألفا بينهم سبعة إلى ثمانية آلاف في بغداد، فيما يبلغ عدد السكان في العراق 29 مليون نسمة.<sup>47</sup>

---

47 سيار الجميل، بروفيسور دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصية والجاذبية والأسرار الحيوية، الحلقة الثالثة، مصدر سابق.

## الفصل الرابع

### العراقيون الإيزيديون (دسنايا)

إلى أحببتنا وأخوتنا الإيزيديين والإيزيديات، إلى مواطناتنا ومواطنينا، إليكم يا من عانيتم من ظلم وعدوان وحقد وكراهية الحكام المسلمين وجلالوتهم بالعراق وغير العراق، يا من تحملتم الكوارث وحملات الإبادة الجماعية في ظل الدولة العثمانية والدولة العراقية، يا من صبرتم على الضيم والبلوى وقاومتتم الاستبداد والاضطهاد والتمييز الديني، ويا من برهنتم أنكم أبناء هذا العراق وبناء حضارته القديمة والحديثة، إليكم يا من تحملتم قسوة الإرهابيين التكفيريين من الدواعش وغيرهم وممن يحاول فرض دينه عليكم ومن الحكام الذين لا يستحون ولم يقدموا حتى الآن الاعتذار لكم، رغم المطالبة، لما مارسته دولهم وحكوماتهم السابقة والراهنة بحقكم، إليكم في عيدكم النيساني، رغم كل الكوارث والمحن، هذه الورقة المتواضعة لتعبر عن التضامن الإنساني لما تحملتموه من مصائب وكوارث ومحن وإبادة جماعية، من دماء ودموع، إليكم تحية وألف تحية وأطيب التمنيات، والعمل من أجل عراق آخر غير العراق الطائفي المحاصصي الفاسد والإرهابي والمريض الراهن، عراق ديمقراطي علماني حديث!!!

يعود تاريخ الديانة الإيزيدية (دسنايا) بالعراق إلى الفترة التي برزت في هذه المنقطة من العالم مجموعة من الأديان التي وضعتها شعوب المنطقة أو تبنتها منها المندائية، والزرمانية، والمثرائية، والمانوية والمزدكية والزرادشتية، أي في الفترة التي سبقت وجود العرب في المنطقة وقبل أو أثناء دخول اليهودية إلى بلاد ما بين النهرين، وقبل دخول الديانتين المسيحية والإسلام إليها. وقد تبنت واحدة من المجموعات السكانية في هذه المنطقة من العالم (إيران، العراق، سوريا، وتركيا، ومناطق أخرى) الدين الإيزيدي. ويشار إلى إن الإيزيديين يشكلون جزءاً من الشعوب الهندو-آرية، كالفرس والكرد، وغالبيتهم يتحدثون بالكردية، في حين إيزيدية بعشيقية وسوريا يتحدثون العربية، ويجيدون الكردية أيضاً. ينتشر العراقيون الإيزيديون في مدن عديدة منها: الشيوخان وبعشيقية وجزاني ومنطقة سنجان وبعاذرة، كما إن مجاميع أخرى تعيش في سُميل وزمار.

والإيزيدية من الأديان الطبيعية والموحدة، وكان اسمهم القديم دسنايا<sup>48</sup>، ولها مزار رئيسي واحد يأمه إيزيديو العالم ويقع في لالش وعلى مقربة من عين سفني، مركز قضاء الشيوخان، الذي يبعد 40 كم عن دهوك

48 كتب لي أحد الباحثين من أبناء المنطقة ما يلي: ما يخص المكون الإيزيدي.. بلا شك هذا المكون عريق وهم من بقايا السكان الأصليين في العراق.. تسمية الإيزيدية تعتبر تسمية حديثة ذات طابع إسلامي.. ولكن حقيقة وجودهم

و60 كم عن الموصل. ويمكن أن نجد للديانة الإيزيدية صلة ما في الفترة السومرية بالعراق وما بعدها، ويتجلى في عدد من المسائل بما في ذلك يوم الأربعاء الذي يعتبر يوم العطلة أو العيد الإيزيدي.

تعرض الإيزيديون على امتداد تاريخ وجودهم بالعراق، ولاسيما منذ الفتح الإسلامي لهذه المنطقة من العالم، ولاسيما في ظل الإمبراطورات العربية والعثمانية، إلى الكثير من المضايقات والاضطهاد والقتل والتهجير. لقد نفذت مجازر كثيرة بحقهم دون أن يرتكبوا جرماً يستوجب مثل هذه الجرائم البشعة التي تعرضوا لها، سوى إصرارهم على التمسك بدينهم غير التبشيري. والسبب في هذا الموقف العدائي من الإيزيديين يكمن في النهج الخاطئ والخطير ضد الأديان الأخرى وأتباعها عموماً من جهة، وضد الإيزيديين بشكل خاص من جهة أخرى لاعتبارين:

- 1- اعتبارهم من الكافرين وعبدة إبليس. ومثل هذه الفتوى تفرض على المسلمين منازلتهم وإخضاعهم للإسلام حتى لو تم ذلك بشن الحرب وممارسة الاضطهاد بحقهم؛
  - 2- اعتبارهم يشكلون واحدة من تلك الفرق الإسلامية الخارجة على أسس وقواعد الإسلام أو مرتدة عنه، والتي يحل دم أفرادها على المسلمين، أو توبيتهم وعودتهم إلى الإسلام. وقد اتهموا مرة بأنهم من أتباع يزيد بن معاوية، وأخرى كونهم من الخوارج أو الأباضية، ومرة ثالثة على أنهم من الشيعة الرافضة.
- وأولى تلك الفتاوى التي صدرت بهذا الصدد، كما يشير إلى ذلك المؤرخون، كانت في القرن التاسع الميلادي أو الثالث للهجرة ونسبت إلى الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي الليث السمرقندي. (سامي سعيد الأحمد: اليزيدية: أحوالهم ومعتقداتهم، الكتاب في جزأين، مطبعة الجامعة، بغداد، 1971، الجزء الأول، ص 27-41).

كتب الباحث العراقي صباح كنجي بهذا الصدد وبصواب يقول:

"والتاريخ يتحدث عن جرائم بشعة ارتكبتها الولاة والسلاطين والحكام المسلمون بحق الإيزيدية في سنجار وبعشيقه وجزاني والشيخان وغيرها حيث قامت تلك الجيوش بالهجوم على قراهم ومدنهم والحقت بهم الدمار والخراب وقد حلت الفتاوى الإسلامية سبي نساؤهم وقتل شيوخهم واطفالهم ونهب ممتلكاتهم. واهم الفتاوى التي صدرت من قبل شيوخ وائمة المسلمين التي اباحت قتلهم هي فتاوى الامام احمد بن حنبل في القرن التاسع الميلادي والامام ابي الليث السمرقندي والمسعودي والعمادي و عبدالله الربتكي التوفي في عام 1159

---

أعرق وأقدم بكثير من الحقبة الإسلامية.. لا يزال يطلق عليهم من جيرايم في بلدات والقرى المسيحية في سهل نينوى مثل (القوش ، تلسقف ، باطنايا، بغديدا (قرقوش)، كرمليس ، برطلة الخ ) تسمية (دسنايا) اسمه التاريخي القديم وهي كلمة آرامية - سريانية ( تعني عبدة الاله سين (اله القمر ) مكونة من مقطعين سريانين ( سين يعني قمر .. نيل يعني الاله ) ، فهم تاريخيا ليسوا لا كردا ولا عربا ، انهم مكون عراقي عريق يطلقون على انفسهم ب (دسنايا) ، وجميعهم يعرفون حقيقة أصولهم ، إلا ان الاضطهادات المتتالية وعبر التاريخ جعلهم ينكرون أصولهم وقاية أولا ، اضافة إلى الطمع في الحصول على مكاسب و مناصب من الجهات المتنفذة (كردا أو عربا) انقطاعهم عن اصولهم التاريخية كان له تأثير على لغتهم و ثقافتهم الرافدينية الأولى ( هنالك كتاب اسمه (الإيزيدية عقيدة و دين) على شكل بحث فيه الكثير من الاستنتاجات عن أصل و فصل الإيزيدية للكاتب والباحث يوسف زرا من اهالي القوش). ك. حبيب

والمتواجدة في مكتبة السليمانية وهي مهداة الى نعيم بك بابان ولم تقتصر الحملات العسكرية على الأتراك المسلمين فقط حيث يحدثنا التاريخ القريب عن حملة الامير الكردي الكبير (الأمير محمد الرواندوزي)، الذي ارتكب ايشع الجرائم بحق الإيزيدية في عام 1832. وجميع هذه الحملات كانت تبحث عن ذرائع واسباب واهية لكي تنطلق الجيوش المعبئة بالحدق والكراهية لتقوم بدورها في القصاص من الأبرياء (الكفار) ولتنشر الإسلام في المناطق التي استعصت عليهم وهكذا كرر التاريخ نفسه لأكثر من مرة وبنفس المحتوى ضد الإيزيديين والأرمن والسريان والكلدان وبقية الأديان بما فيهم اليهود والمسيحيين.<sup>49</sup>

لقد جاء في نص "الفتوى الدينية!" الصادرة عن الشيخ عبد الله الربيكي المتوفي سنة 1159 هجرية الموجودة في المكتبة السليمانية، المهداة إلى نعيم بك آل بابان من إسماعيل حقي بك الأزميري. ما يلي: "إعلم أنهم متفقون على أباطيل من عقائد وتأويل كلها مما يوجب الكفر العتيد والضلال العنيد. فمنها أنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون أنه كذب وأن مثل هذياناات الشيخ فخر هي المعتمد عليها والتي يجب أن يتمسك بها ولهذا يعادون علماء الدين ويبغضونهم بل إن ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل... ولا خفاء في أن هذه المذكورات كلها مما يوجب أشنع الكفر وأقبحه فهم إذن كفره أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب إلى أصل المذهب فانه نقل عن كتاب المتفق والمختلف إن الظاهر من مذهب مالك أنه إذا ظهر أحكام الكفر في بلدة تصير دار حرب وهو مذهب الشافعي وأحمد (رض) واتفقوا على أموالهم. ... قال في الأنوار: "توبة المرتد وإسلام الكافر أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويتبرأ من كل دين يخالف الإسلام ويرجع من كل اعتقاد هو كفر" هذا معلوم لو أجبروا وأكروهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في آدي ويزيد ولالاش وغير ذلك من شيوخهم، ومنه رأيهم على أنهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجه. (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) الآية".<sup>50</sup>

وجاء في كتاب ابن الفوطي الموسوم ب "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة" بأن بدر الدين لؤلؤ قام في عام 1254 م 652 هجرية، أي قبل غزو المغول لبغداد بأربع سنوات، بنبش قبر الشيخ آدي بن مسافر وأخرج جثمانه وأحرق عظامه.<sup>51</sup>

يشير المؤرخ عباس العزاوي في كتابه "تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم" نقلا عن كتاب تقي الدين أحمد بن علي المقرئ الموسوم " السلوك لمعرفة دول الملوك" إلى حملة الإبادة التي تعرض لها الإيزيديون في عام 1414 م 817 هجرية بما يلي: "في هذه السنة قد حُرِق قبر الشيخ آدي الكائن في حكار من بلاد الكُرد. قد تجمع هؤلاء على قبره وقد سموا بالعدوية فاتخذوه قبلة لهم. وهم كثيرون ... وصار يتهافت الناس لزيارته. وهؤلاء عقبوا سلوك هذا الشيخ. وصار محل اعتمادهم واحترامهم ...ولما تجاوزوا الحد... قام عليهم جلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني من الشافعية، من فقهاء إيران فأغرى الأمراء بالقيام عليهم ودعاهم لمحاربتهم. وأجاب دعوته كل من حاكم جزيرة ابن عمر (أمير عز الدين البختي) وجماعة من الكُرد السندية مع حاكم قرية شرانش وأمير توكل الكُرد. وأيضا أرسل حاكم حصن كيفا جيشا لمساعدتهم وكذا التحق بهم

<sup>49</sup> صباح كنجي، استئلة عن الإيزيدية، موقع بحزاني، 2012/02/28.

<sup>50</sup> راجع: العزاوي، عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. بغداد. مطبعة بغداد. منتصف الثلاثينات من القرن العشرين. ص 84-90.

<sup>51</sup> توفيق زرار، موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين، مجلة لالش. العدد 5/ 1995. دهوك ص 83.

أمير شمس الدين محمد الجردقلي. بهذه القوة العظيمة هاجموا جبل هكار وقتلوا الكثير من أتباع الشيخ آدي، وقد أسر جماعة من أتباع الشيخ آدي ممن يسمى (بالصحبية) ثم جاؤا إلى قبر الشيخ آدي لأجل هدمه فوصلوا قرية شرالق (وفي الكتب الأخرى يسمى لالش أو ليلش) فهدموا قبته وحفروا القبر فأخرجوا عظامه وأحرقوها بمرأى من القوى الصحبوية وقالوا لهم انظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع أن يمنعنا واغتنموا غنائم كثيرة. ولما عادوا عن النهب اجتمع الصحبوية وعمروا القبة من جديد وعادوا إلى ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة".<sup>52</sup>

لم تكن مثل هذه الفتاوى والإعمال المخزية سوى تعميقاً للخلافات وإساءة متعمدة وخطيرة ودعوة المسلمين لقتل أتباع الديانة الإيزيدية وحرمانهم من حقهم المشروع في أن تكون لهم طقوسهم وشعائرهم الدينية وتقاليدهم وقبور أوليائهم الصالحين يقومون بزيارتها والتبرك بها، كما يفعل أتباع الكثير من الأديان والمعتقدات في العالم منذ آلاف السنين.

لقد تعرض الإيزيديون في فترة الحكم العثماني إلى عشرات المجازر الدموية التي صدرت على ضوء فرمانات التي أصدرها شيوخ الإسلام في ظل الدولة العثمانية المنافية لكل ما هو إنساني نبيل. وقاد ذلك إلى موت نسبة عالية من بنات وأبناء أتباع الديانة الإيزيدية، أو تحول بعضهم قسراً إلى الدين الإسلامي، أو هروبهم إلى خارج حدود الدولة العثمانية.<sup>53</sup>

يشير الكاتب العراقي أمين فرحان جيجو في كتابه الموسوم " القومية الإيزيدية جذورها - مقوماتها - معاناتها " إلى الأسباب الكامنة وراء هذا الموقف العدواني لبعض الأطراف ضد أتباع الديانة الإيزيدية، إضافة إلى ما ذكر سابقاً، إلى ما يلي:

- ١ - الحصول على الغنائم والممتلكات الإيزيدية.
- ٢ - اجتثاث الامتداد التاريخي والحضاري السومري البابلي للشعب الإيزيدي.
- ٣ - محو اللغة الإيزيدية.
- ٤ - اجتثاث الديانة الإيزيدية التي هي امتداد للديانة البابلية.
- ٥ - القضاء على المعالم الحضارية والتاريخية والتراثية للشعب الإيزيدي.
- ٦ - الاستحواذ على المناطق والجغرافية الإيزيدية بأكملها.
- ٧ - استغلال الطاقات البشرية من الإيزيديين الذين يقعون تحت رحمة الغازين لمهنة العبيد وتجنيدهم في صفوف الجيوش الغازية.

<sup>52</sup> (الغزوي، عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، مصدر سابق، ص112/113).

<sup>53</sup> ملاحظة: يمكن متابعة تلك المجازر البشعة في كتب كثيرة صادرة عن كتاب إيزيديين وغير إيزيديين بحثوا بعمق ومسؤولية في هذه المسألة منها على سبيل المثال لا الحصر السادة: عدنان زيان فرحان، قادر سليم شمو، لكتابهم المشترك بعنوان عنوان (مأساة الإيزيديين) وعنوان فرعي (الفرمانات وحملات الإبادة ضد الكورد الإيزيديين عبر التاريخ) الصادر عن مطبعة خاني في دهوك في سلسلة كتبها عام 2009، وكتاب أمين فرحان جيجو الموسوم حملات الإبادة الجماعية (الفرمانات) التي تعرض لها الشعب الإيزيدي، وكتاب الأستاذ زهير كاظم عبود عن الإيزيديين، وكتب أخرى ومقالات كثيرة بهذا الصدد. ك. حبيب

٨ - سلب الأطفال واختطاف النساء .

٩ - القضاء على الشعب الإيزيدي بهدف عدم تنامي قدراته البشرية والجغرافية والفكرية والإدارية.<sup>54</sup>

لقد قادت هذه الهمجية الفكرية والسياسية والاجتماعية إلى ارتكاب جرام بشعة بحق الإيزيديين على امتداد تاريخ الدولة العباسية والعثمانية، وكذلك في الدولة العراقية الحديثة ابتداءً من عام 1935 حين رفض الإيزيديون، ارتباطاً بتعاليم دينهم، التجنيد الإجباري في الجيش العراقي، وخاضت قوات الشرطة معركة ضدهم أدت إلى قتل عدد كبير منهم وجرح الكثير إضافة إلى اعتقال 244 شخصاً منهم وإيداعهم السجن. كما تعرض الإيزيديون إلى مجزرة أخرى وقعت ضمن حملات الإبادة الجماعية ضد شعب كردستان والكردي في العام 1988 حيث استشهد منهم في هذه الحملات 193 شخصاً من النساء والرجال والأطفال.<sup>55</sup> وفي فترة الجمهورية الرابعة (البعثية) فقد ارتكب النظام البعثي الكثير من الجرائم البشعة بحق الإيزيديين بما في ذلك التعريب، أي تسجيلهم عرباً قسراً. وقد سعى الزميل صباح كنجي على جمع معلومات مهمة حول ما حصل لهم في فترة الحكم الدكتاتوري البعثي حيث ورد ما يلي:

"وفي عام 1975 إثر انهيار الحركة الكردية المسلحة شمل التغيير والتهجير أكثر من 300 قرية ومدينة في سنجار بالإضافة الى تهجيرهم من مركز القضاء وتدمير محلة البرج وبقية بيوتهم بالكامل وتم اجبارهم على السكن في مجمعات سنجار القسرية الـ 12 التي منحت اسماء عروبية وإسلامية:

اولا : مجمعات الشمال: 1. خانه صور. مجمع التأميم، 2. سنوني . مركز ناحية الشمال، 3. دو كري . مجمع حطين، 4. دهولي . مجمع القادسية، 5. بورك . مجمع اليرموك، 6. كوهيل . مجمع الاندلس، 7. زورافا . مجمع العروبة،

ثانيا: مجمعات القبلة . جنوب جبل سنجار: 1. سيبا سيخ خدر. مجمع الجزيرة، 2. كر عزيز . تل عزيز. مجمع القحطانية، 3. كر زه رك . مجمع العدنانية، 4. تل قصب . مجمع البعث، 5. تل بنات ثالثاً: . مجمع الوليد

كما تم تهجير الكثير من الإيزيديين من أهالي سنجار ايضا إلى منطقة باعذرة ومجمع خانك في دهوك .. كذلك جرى تهجير المتواجدين منهم في مناطق زاخو وغالبيتهم من عشيرة الهويرية الى مجمع خانك ومنطقة سينا وشيخ خدر وشاريا .. والقرى المهجرة من ضفاف نهر دجلة بسبب ملابسات الثورة الكردية ومشروع بناء السد في منطقة الدنانية هي : 1. زينافا، 2. كبرتو، 3. ديربون، 4. بيبزن، 5. زينية، 6. خيرافا، 7. كمونة، 8. قسر يزدين، 9. سوركا، 10. ، 11. مام شفان، 11. جه م بركات، 12. كوتبة، 13. ربيبي، 14. مشكل.

54 أنظر: أمين فرحان جيجو، القومية الإيزيدية جذورها - مقوماتها - معاناتها ، بغداد، 2010.

55 أنظر: كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق، 2017. القائمة للتي نشرتها في كتابي المذكور أعدت من قبل الصديقيين صبحي حجو وصباح كنجي كل على انفراد.

وبعد ترحيل اهالي هذه القرى تم تجميعهم في مجمع (خانك) التابع لقضاء سُمَيْل وأصبح نفوسه بحدود 30 ألف نسمة.. استقبل أكثر من 65 ألف لاجئ ومشرّد من اهالي سنجان بعد اجتياحها من قبل الدواعش عام 2014. وفي العام ذاته 1975 .. جرى تهجير عدد آخر منهم من مناطق سهل نينوى والشيخان الى الفلوجة والحلة والناصرية وبقية المدن العربية في وسط وجنوب العراق.. ومن القرى المهجرة في منطقة الشيخان التي اجبر سكانها على تركها والسكن في مجمع مهت.. وتم اسكان القبائل العربية فيها عام 1975: 1. قرية مام رشان، 2. مقبلي، 3. محمودة، 4. جروانا، 5. مهمد رشان.

وفي المرحلة الثالثة من عهد حكم البعث تم تهجير سكان العديد من قرى الإيزيدية في دشت سينا وجرى تجميعهم في مجمع شاريا والقرى والمدن المهدامة عام 1987 قبل الانفال والتي لا يتحدث عنها السياسيون والمؤرخون للأسف هي : 1. تدمير قرية سينا كاملة وتفجير بيوتها الإسمنتية ومن كان معهم من مهجرين سابقين من عشيرة الهويرية المرقلين من زاخو وكانوا يسكنون في بيوت طينية بين سينا وشيخ خدر..، 2. تدمير قرية شيخ خدر كاملة وتفجير بيوتها الإسمنتية، 3. تدمير قرية شاريا وتفجير بيوتها الإسمنتية، 4. تدمير قرية كله بدرة وتفجير بيوتها الاسمنتية، 5. تدمير قرية خرشني وتفجير بيوتها الاسمنتية، 6. دمر قرية ركافا وتفجير بيوتها الاسمنتية.

أما في محور الشيخان . القوش فقد تم تدمير القرى التالية في نفس الفترة أي في عام 1987 قبل الانفال أيضاً:

1. قرية كرسافة ونقلهم الى مجمع النصيرية وشيخكا، 2. قرية خورزان ونقلهم الى مجمع النصيرية وشيخكا، 3. قرية طفطيان ونقلهم الى مجمع النصيرية وشيخكا، 4. قرية بيوس العليا . ملا جبرا ودمج سكانها بسكان باعذرة،

وفي الانفال عام 1988 تم تغييب اكثر من 200 فرد إيزيدي من اهالي بجزاني وبعشيقه وسنجان وخورزان وبوزان وبعذرة وملجبرا والشيخان ومجمع خانك ودوغات وختارة..<sup>56</sup> اما في فترة الجمهورية الخامسة، حيث أقيم النظام السياسي الطائفي، التي بدأت بعد إسقاط النظام الدكتاتوري العراقي في العام 2003،

فقد تعرض الكثير من الإيزيديين إلى القتل على ايدي الميليشيات الإسلامية السياسية المسلحة من أتباع القاعدة في محافظة الموصل إذ نفذ بحق العمال الإيزيديين جرائم بشعة حقاً وبأعداد كبيرة، ولم يلقوا الحماية من حكام الموصل والدولة العراقية والحكم الطائفي السياسي بالعراق. كما جوبهوا بنهج تمييزي مدمر لكرامة الإنسان وعيشه بالعراق. كتب صباح كنجي ف إجابة عن سؤال حول أحوال الإيزيديين بعد سقوط النظام البعثي ما يلي:

56 راجع: صباح كنجي، الاحصاء والمعلومات عن الإيزيدية والاقليات منذ تشكيل الدولة العراقية...، مصدر

"بعد سقوط نظام صدام حسين تعرض الإيزيديون الى هجمات المتطرفين الاسلاميين ومنعوا من العمل في بغداد والمحافظات الجنوبية وتم حرق محلاتهم ومن ثم جرت عمليات مستمرة لقتلهم وقد ذهب ضحية العمليات الاجرامية للإرهابيين اكثر من ( 400 ) فرد إيزيدي وهناك ايضا ميول لمقاطعة الإيزيديين وعدم التعامل معهم ولذلك انقطع الطلبة الإيزيديين عن الدراسة في جامعة الموصل وعدده حوالي ( 1600 ) طالب وطالبة في مختلف الاختصاصات كما هناك صعوبة في تسويق بضاعة الإيزيديين في مختلف مدن العراق بما فيها مدن كردستان رغم وجود حكومة علمانية بسبب الميول الاسلامية التي تتفشى بشكل يؤدي الى مقاطعة غير المسلمين، ويشمل هذا عدم التردد على عيادات الاطباء الإيزيديين ومقاطعة المنتجات الزراعية والحيوانية والالبان والطرشي وغيرها من البضاعة التي كان يتاجر بها الإيزيديون".<sup>57</sup>

ثم كانت الطامة الكبرى باجتياح الموصل من قبل عصابات داعش المجرمة بعد انسحاب القوات المسلحة العراقية بشكل انهزامي وكذلك قوات البيشمركة من سنجار وغيرها في سهل نينوى والتي أدت إلى حصول كارثة إنسانية رهيبة ونفذ بحق الإيزيديين عمليات إبادة جماعية تجلت في نزوح عشرات الآلاف منهم من مناطق سكناهم إلى جبل سنجار ومنه إلى دهوك وأربيل وغيرها من مناطق العراق، وفي اعتقال الآلاف منهم وتعريضهم للقتل والسبي والاغتصاب والنهب والسلب. لقد كانت جريمة بشعة.

إذا كان تنظيم داعش الإرهابي قد وضع أمام المسيحيين واحداً من أربعة خيارات هي: (1) التحول صوب الإسلام والقبول بالختان للرجال؛ (2) دفع الجزية والخراج؛ (3) ترك البلاد بما على جلودهم من ملابس فقط؛ و(4) قطع الرؤوس، إلا إنه لم يضع أمام الإيزيديين سوى خيارين أما (1) الدخول في الإسلام أو (2) قطع الرؤوس، أما نصيب النساء فكان السبي والبيع في سوق النخاسة الإسلامي والاغتصاب والقتل بمن فيهن البنات القاصرات، وكان نصيب الأطفال إدخالهم في الدين الإسلامي وتدريبهم على العنف وقتل من هم من ديانات أخرى. وقد مارسوا ذلك حقاً، إذ لم يدخل من الإيزيديين في الإسلام إلا بضعة أفراد سقطوا في أيديهم وفرض عليهم عنوة ومن رفض قتل فعلا بقطع رأسه.

إن المعلومات المتوفرة لدينا عما فعله القتلة الداعشيين تشير إلى ما يلي:

تعرض الإيزيديون الى أبشع جرائم العصر بسبب اقتحام تنظيم داعش الى قضاء سنجار في 3/آب/2015.. حيث تم سرقة وحرق (25) مجمعا تابعا لأبناء هذا المكون.. وحجز (1500) طفل، وزجهم في معسكرات خاصة لتدريبهم على العمليات الانتحارية والقتالية.. وحرق وسلب (25) مجمعا تابعا لأبناء المكون الإيزيدي.. وغادر (18) ألف منهم الى تركيا.

#### عدد النازحين من مناطق الإيزيديين

عدد النازحين	عدد القتلى	عدد المختطفات	عدد المفقودين	عدد الجرحى

<sup>57</sup> راجع: (صباح كنجي، أسئلة عن الإيزيديين، مصدر سابق).

890	841	5422	4541	430 ألف
-----	-----	------	------	---------

المصدر: كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق

.2017

المزارات وأماكن عبادة الإيزيديين التي تم الاعتداء عليها وتدميرها من تنظيم داعش

2014/8/13	مجمع بابيرة	شقسى باتى	1
2014/8/13	مجمع بابيرة	شيخ بابك	2
2014/8/13	مجمع بابيرة	شيخ مخفي	3
2014/8/13	مجمع بابيرة	ملك شيخ سن	4
2014/8/16	بعشيقة وبحزانى	ست حبيبة	5
2014/8/16	بعشيقة وبحزانى	ست خديجة	6
2014/8/3	بعشيقة وبحزانى	شيخ حسن	7
2014/8/16	بعشيقة وبحزانى	شيخو بكر	8
2014/8/16	بعشيقة وبحزانى	سجادين	9
2014/8/16	بعشيقة وبحزانى	شيخ شمس	10
-	بعشيقة وبحزانى	ملك ميران	11
-	بعشيقة وبحزانى	شيخ بابك	12
-	بعشيقة وبحزانى	قبة ابو ريش	13
2014/8/24	سنجار	شيخ مندبال	14
2014/8/22	سنجار	ئيزى	15
2014/10/16	بعشيقة وبحزانى	مزار ناسر دين	16
2014/10/20	سنجار	ئامادين	17
2014/10/20	سنجار	مزار الشيخ شرف الدين الشيخ عدي	18

المصدر: كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق 2017.

ويشير الباحث صباح كنجي إلى عواقب داعش الإجرامية بحق الإيزيديين إلى ما يلي:

"وفي مرحلة داعش تم اجتياح منطقة سنجار كاملة المكونة من مركز القضاء واربعة نواحي و12 تجمعاً، بالإضافة إلى مدينتي بحزاني وبعشيقية في سهل نينوى.. وكانت نسبة التدمير في مركز قضاء الشخان تتجاوز 95% من مجموع ما فيها من بيوت ومنازل ومنشآت ودوائر حكومية، كما ارتكبت أبشع الفظائع.. وتم فرض الدين الإسلامي على من وقع في الأسر من الأطفال والنساء، وجرى استعبادهم، والتشنيع بهم، باعتبارهم كفار، كذلك جرى قتل واعدام الكثير منهم.. وفي بحزاني وبعشيقية تم تدمير البنية التحتية والمشاريع الاقتصادية ونهب المعامل والمؤسسات، وحرقت وتدمير بساتين الزيتون، إضافة إلى وجود أسرى ومفقودين وقتلى ومسيبين من اهالي المدينتين.. وقد تسببت هذه الاوضاع في تفاقم الهجرة والتهجير.. حيث نشأت عدة مخيمات لهم في مناطق زاخو ودهوك وشاريا وبعاذرة وايسيان، إضافة إلى وجودهم وانتشارهم في المدن ابتداء من دهوك والعمادية وسرسنك واربيل والسليمانية.. مع اضطرار لجوء الاخرين إلى سوريا وتركيا ومن ثم الهجرة إلى أوروبا.. ويقدر عدد المهاجرين الإيزيديين إلى ألمانيا وبقية دول اللجوء بأكثر من 70 ألف مواطن ومواطنة لحد الآن منذ اجتياح داعش لسنجار في 2014/8/3.. كما جرى استخدام اكثر 1500 من طفلة وفتاة وامرأة اسيرة ومغتصبة إلى ألمانيا للعلاج النفسي والطبي.. وعموماً يمكن القول ان الهجرة شملت لأول مرة شرائح اجتماعية جديدة شملت.. التجار والاعنياء الذين قرروا مغادرة العراق، وكذلك المهندسين والاطباء والمعلمين وحاملي الشهادات العالية في مختلف الاختصاصات العلمية ومن المثقفين.."<sup>58</sup> وللاطلاع على تفاصيل الخسائر المادية التي لحقت بالإيزيديين ومدنهم ومؤسساتهم الاقتصادية والاجتماعية الدينية يمكن العودة إلى مقال مهم للباحث صباح كنجي نشر في موقع الحوار المتمدن بعنوان "تقديرات أولية لخسائر بحزاني وبعشيقية على يد الدواعش"، العدد 5178 بتاريخ 2016/35 في محور الإرهاب والحرب والسلام.

58 أنظر: صباح كنجي، عن الاحصاء والمعلومات عن الإيزيدية والاقليات منذ تشكيل الدولة العراقية.. أوائل نيسان (2018).

## الفصل الخامس

### العراقيون المندائيون

إلى أحببتنا، أخواتنا وأخوتنا المندائيين، مواطناتنا ومواطنينا في الوطن المستباح بالطائفية والفساد والإرهاب، إلى من عانوا من ظلم الحكام وجمهرة من شيوخ الدين المسلمين العرب وغير العرب أثناء الحكم العثماني والفارسي وقبلهما وبعدهما بالعراق حتى الوقت الحاضر، إلى الشهداء الذين سقطوا لعقيدتهم الدينية أو لأفكارهم ومواقفهم السياسية الوطنية والديمقراطية، إلى من أُجبروا على ترك أرض وطنهم ومياههم، مياه دجلة والفرات، والمندي، إلى من يحنون دوماً للعودة إلى أرض الأجداد، إلى الأرض التي ساهموا بحراثتها وزراعتها والصناعة الفضية التي مهروا حرفتها وأبدعوا فيها، إلى أولئك الأبطال الذين رغم كل ذلك استمروا صامدين على أرض الوطن لأنهم ملحها ونور دنيانا، اليكم يا من أنتم بالوطن أو بالمهجر، هذه اللوحة المكثفة عن دوركم وواقعكم والمحن التي كابدتم منها والكوارث التي عشتم تحت وطأتها وعانيتم منها، يا من تمارسون دوركم في الخلاص من النظام السياسي الطائفي وقوى الفساد والإرهاب وتعملون من أجل بناء عراق ديمقراطي علماني لا تمييز فيه على أساس القومية أو الدين أو المذهب أو الفكر الإنساني الحر!!

المندائيون يشكلون جزءاً أصيلاً من سكان وادي الرافدين، ميزوبوتاميا، منذ أن بزغت الحضارة السومرية على هذه الأرض الطيبة، وهم لا زالوا بالعراق وسيبقون فيه، رغم الكوارث والمحن المستمرة التي تعرضوا لها عبر تاريخهم الطويل، ورغم التهجير القسري الذي لم يتوقف حتى الآن. وقد لعبوا ولا زالوا يلعبون دوراً حيويًا ومهماً في الحياة الفكرية والروحية العراقية. وبهذا الصدد يشير الكاتب الفقيه عزيز سباهي إلى ما يلي: «العب الصابئة، رغم كونهم طائفة دينية صغيرة، دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الروحية والفكرية في بلاد ما بين النهرين خلال ظهور المسيحية وانتشارها أو بعد ظهور الإسلام، ولاسيما بعد ازدهار الحضارة العربية-الإسلامية أيام العباسيين، ولمعت من بينهم شخصيات علمية أسهمت بقسط وافر في إعلاء شأن الحضارة العربية-الإسلامية. ولكنهم بعد تدهور هذه الحضارة، والغزو المغولي، والفتح العثماني من بعد، وتعرضهم

إلى الاضطهاد في العهود المختلفة، انكمشوا على أنفسهم في القرى المنتشرة عند البطائح الممتدة من جنوب نهر الفرات حتى نهر كارون في جنوب غرب إيران، .."<sup>59</sup>

يختلف الباحثون حول أصل الدين المندائي. إلا أن الكثير من الدراسات المقارنة المهمة لأبرز الباحثين الذين بحثوا في الدين المندائي تشير إلى أن هذا الدين رافديني الأصل، إذ أن هناك روابط أو وشائج قوية بين الدين المندائي والدين السومري العراقي القديم. وهنا يبدو لي بأن من المجدي حقاً أن نفكر بالاتجاهين التاليين، وهما:

أ. هل إن السومريين، كمجموعة بشرية، كانوا مجاورين للمندائيين، كمجموعة بشرية أخرى، في جنوب العراق، وبالتالي كانت المجموعتان متأثرتين بأصول دينية ذات جذر واحد مع تباين في تفاصيل الدين.

ب. أم إن المندائيين هم الاستمرار لما تبقي من السومريين، وبالتالي فإن دينهم يتطلق من جذر واحد، ولكنه، كأى دين آخر، عرف بعض التحولات والتغيرات عبر القرون اللاحقة، ولاسيما في مجال تعدد الآلهة في الدين السومري، في حين تسود وحدانية الحي العظيم في الدين المندائي، وتحول الآلهة المتعددة في الديانة السومرية إلى ملائكة (إثري) في الدين المندائي تخوض ذات الصراعات التي كانت تخوضها في الدين السومري أو البابلي بشكل عام، إضافة إلى تميز الدين المندائي بالغنوصية (المعرفية).

في أغلب دراسات الباحثين تجري المقارنة بين الدينين ولا تنطلق من احتمال كونهم كمجموعة بشرية من أصل واحد. ولكن الباحث عزيز سباهي أثار في بحثه القيم تساؤلاً مشروعاً بهذا الصدد، حيث كتب ما يلي: "يثار هنا تساؤل مشروع. هل كان المندائيون قد تأثروا بشكل مباشر بأفكار الجماعات البابلية التي كانت تجاورهم، أو أن يكونوا هم ذاتهم من بقايا البابليين وطوروا معتقداتهم من خلال تفاعلهم مع الجماعات اليهودية والفارسية وغيرها التي كانت تعيش بجوارهم، أو أن يكونوا من الجماعات الآرامية التي تطورت أفكارها كثمرة للتفاعلات المختلفة، أو أن يكونوا جماعة صغيرة هاجرت إلى جنوب العراق من الغرب وهي تحمل فكراً غنوصياً فطوره بتأثير الفكر البابلي والفارسي محولة إياه إلى تيار غنوصي ذي مزايا شرقية خاصة؟"<sup>60</sup> ومع إنه لا يقطع بأي من هذه الاحتمالات، إلا إنه يميل، وأنا معه في ذلك، واستناداً إلى تراثهم الأدبي في مختلف المراحل إنهم من جنوب العراق.<sup>61</sup>

---

<sup>59</sup> أنظر: عزيز سباهي، أصول المندائية (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، منشورات المدى، دراسات 18، ط 1، دمشق - 1996.

<sup>60</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 77/78.

<sup>61</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 77/78.

إن تتبع الكثير من الدراسات والكتب الصادرة عن باحثين مختصين بالشأن المندائي، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، كتاب هنري أوستن لايارد الموسوم "تينوى وما تبقى"<sup>62</sup>، وكتاب الباحثة المختصة الليدي دراور الموسوم "الصابئة المندائيون"، وكتابها الثاني الموسوم "أساطير وحكايات صابئية"<sup>63</sup>، وكتاب مارك ليدزبارسكي الموسوم "كتاب يوحنا عن المندائيين"<sup>64</sup>، ثم كتاب عزيز سباهي الموسوم "أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية"<sup>65</sup>، وكتاب خزعل الماجدي الموسوم "جذور الديانة المندائية"<sup>65</sup>، التي تعتبر دراسات جادة ومهمة أجرت مقارنة بين الدين السومري والدين المندائي، وهي تشير إلى التماثل الكبير في الجواهر الإلهية الثلاثة التي برزها الباحث خزعل الماجدي: جوهر الماء وجوهر النور وجوهر الظلام<sup>66</sup>، إضافة إلى التقارب الكبير في المندي، وتراتبية الكهنة، ومراسيم دفن الموتى والطقوس الدينية، ورمز الديانة الدرفش أو (الراية)، مع الأساس الفلسفي لهذا الدين وجوهره ومدى تأثير الغنوصية العرفانية أو المعرفية عليه لاحقاً. إضافة إلى الأساطير والحكايات الشعبية. وتجدر هنا الإشارة إلى تركيز الباحث عزيز سباهي أولاً ومن ثم الباحث خزعل الماجدي على مسألة أساسية في الدينين هي التماثل الكبير في أسطورة الخلق أو الكون. كتب عزيز سباهي في كتابه القيم بهذا الصدد ما يلي:

"1. إن كلا الأسطورتين تقرآن بوجود عالمين من البداية. : عالم الظلام، العالم الأسفل، تسكنه كائنات معينة (تي آمت وأبسو) والوحوش الأخرى في البابلية (والروها وكاف وأور وكرون والوحوش الأخرى في المندائية من جهة، ... وعالم النور، عالم السماء، العالم العلوي من جهة أخرى. إن أهمية هذه المسألة تكمن في كون الأسطورة البابلية (ذات الأصل السومري) قد أشارت بوضوح تام إلى هذا التناقض منذ البداية. وبالتالي فهي أصل القول بعالمي الظلام والنور وليست المعتقدات الفارسية. إن الفرس هم الذين استقوا هذا المعتقد من بابل وطوروه من بعد إلى صراع بين أهريمان وأهورا مزدا، وبالتالي فإن المندائيين يأخذون معتقدتهم في الظلام والنور من البابليين مباشرة وليس من خلال الفرس كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين..."<sup>67</sup>. وهنا ترد الملاحظة التالية: يقول عزيز سباهي إن المندائيين يأخذون معتقدتهم من البابليين مباشرة وليس من الفرس، ولكن الوقائع التاريخية تشير وتؤكد إلى أن المندائيين هم بابليون أيضاً، أي أنهم جزء من الحضارة

<sup>62</sup> Henry Austin Layard, *Ninevah and its Remains*, John Murry, London 1849.

<sup>63</sup> أنظر: الليدي دارور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط 2، بغداد 2006.  
أنظر أيضاً: الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار هيفي، أربيل، ط 2، 2009.

أنظر: خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية مطبعة صفاء حسين الناصر، بغداد، 1997.

<sup>64</sup> Siehe: Mark Lidzbarski, *Das Johannesbuch der Mandäer*, Verlag von Alfred Töpelmann, Giesen 1915.

<sup>65</sup> خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية، مطبعة صفاء حسين الناصر، ط 1، 1997. ص 1.

<sup>66</sup> خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية، مطبعة صفاء حسين الناصر، ط 1، 1997. ص 10-22.

<sup>67</sup> أنظر: عزيز سباهي، أصول الصابئية، مصدر سابق، 76.

البابلية ومعتقداتها، وإن معتقداتهم هي جزء عضوي من معتقدات البابليين، مع الأخذ بالاعتبار تطورها والإضافات الي حصلت على الديانة المندائية.

2. كلا الأسطورتين تقومان على أساس أن تمرداً ما يحدث في عالم الظلام ضد عالم النور، وأن عالم النور يعتمد إل قمعه فتم بعدها عملية الخلق. وكلاهما يصف الاستعدادات التي يتخذها كلا الطرفين استعداداً للصدام.

3. كلاهما يختار شاباً لقمع التمرد ويمنح كل الوسائل الضرورية لاكتساب قوة جبارة يستطيع بها أن يحقق النصر على قوى عالم الظلام ...

4. وفي الأسطورتين يبدو الإنسان مزيجاً من عنصرين: أرضي، طين الأرض، وما ينشأ عنه من خلق وطباع وغرائز مستمدة من العالم الأسفل، عالم الشر، وسماي: مرة يبدو في صورة دم إلهي، وتارة في صورة نفس سماوية، وما يرتبط بها من عقل ومعرفة وحكمة."

وفي ضوء ذلك، هناك من الدلائل ما يؤكد أصلهم اليرافديني البابلي العراقي، رغم وجود بعض الآراء التي ترى أن أصل وجودهم متوسطي شامي مصري، وبعضهم الآخر يرى كونه فارسي وهندي الديانة. إذ جاء في الكاتب الموسوم "جذور الديانة المندائية للكاتب الدكتور خزل الماجدي بهذا الصدد ما يلي: "إلا أننا نرى ان أصول الديانة الصابئية المندائية تمتد بجذورها راسخة في أرض العراق القديم، وتحديدأ أرض سومر.. حيث نرى ان الدين الصابئي المندائي هو ما تبقى من الدين السومري (الذي طواه الزمن منذ زمن بعيد) .. ولكنه أصبح مغلفاً بالكثير من الأديان التي أتت من داخل أو خارج العراق القديم". ثم يؤكد ذلك مباشرة بقوله: "إن الدين المندائي دين توحيدي شأنه في ذلك شأن الديانات الموحدة المعروفة ولكن عمقه الروحي والتاريخي ضارب في الجذور القديمة لأقدم ديانات وادي اليرافدين".<sup>68</sup>

تعتبر الديانة المندائية أقدم الأديان التوحيدية التي يطلق عليها المسلمون بالديانات الكتابية (المندائية والمجوسية واليهودية والمسيحية والإسلام)، وكتابهم المقدس "كنزاً ربا" إضافة إلى كتب دينية عديدة أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر نشير إلى "دراسة ادبها"، و "ديوان أباتر"، وديوان "حران كويثا". والدين المندائي مغلق غير تبشيري، وغير معروف تماماً ما إذا كان منذ البدء غير تبشيري، أم حصل هذا لاحقاً بسبب المضايقات والاضطهاد والقمع الذي تعرض له المندائيون، إذ إن الأديان من حيث المبدأ تبشيرية عموماً، وبالتالي، فأتباع هذا الدين لا ينافسون أتباع الأديان الأخرى في دينهم، ولا يسعون إلى كسب أتباع الأديان الأخرى لدينهم. دين الصائبة المندائيين، وبخلاف الكثير من الأديان، فالدين المندائي مسالم، يدعو إلى المعرفة، بحكم غنوصيته، وليس لهذا الدين من نبي أو مؤسس محدد، كما في الأديان الكتابية الأخرى، وهو أمر إيجابي، فأتباع هذا الدين، الناس، كلهم هم الذين مارسوا هذا الدين ووضعوا طقوسه وسجلوا تراثه. كتب الشيخ الترميذة علاء النشمي إجابة عن سؤال من هو مؤسس الدين، ما يلي: "إن الديانة المندائية

68 أنظر: الشيخ الترميذة علاء النشمي، أسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية على موقع الهوية الآرامية، أخذ المقطف بتاريخ 2018/03/21.

تختلف عن باقي الأديان، بكونها ليس لديها مؤسس بشري .. أن المندائية ببساطة هي شرعة الحياة الفطرية (شرشا اد هيي) التي عرفها والتزم بها آدم أبو البشر (أول إنسان عاقل) .. فقد ورد في ك/ي، عندما أمر الخالق العظيم، رسول الحياة والنور (هيل زيو) (أ.س) بما يلي: ((اذهب، ناد بصوتك آدم وامرأته حواء وجميع ذريتهم بصوت عال ناديتهم واجمعهم وخذ على نفسك أن تعلمهم كل شيء . أعطهم دروسا عن ملك النور السامي ذو القوة الواسعة العظيمة دونما حد أو عدد وعرفهم بعوالم النور الأبدية))، وأيضاً ورد في ك/ي ((لقد آدم وزوجته العلم والمعرفة)). فهذا الأمر من الخالق العظيم لملاكه الطاهر، بان يعلم آدم وزوجته حواء (العلم والمعرفة).. فهذه المعرفة هي المندائية، ويقصد بها معرفة وجود الرب الحي العظيم. فالمندائية امتداد لشرعية عوالم النور (عوالم الله).. فهي تعني المعرفة.. ويقصد بها معرفة الرب وتوحيده، الحي العظيم (هيي ربي) مسيح اسمه، وتنظيم الصلة ما بين رب الأكوان والإنسان، وهذا هو أهم شيء وجوهر الدين المندائي.. وأول من عرف، وكان مندائي بسبب معرفته، هو آدم (مبارك اسمه).. المندائية هي معرفة الحياة وهي ليست وليدة عصر، وإنما وليدة كل العصور.<sup>69</sup> من هذا يمكن القول بأن الدين المندائي يقترن بأدم ونوح وسام وشيت وبعدد آخر من المصلحين (الأنبياء) الذين ذكروا في القرآن أيضاً، ولاسيما إبراهيم ويحيى وزكريا، بالتالي فهم يحترمون جميع "أنبياء" الأديان الأخرى.

رغم هذا التوضيح، اختلف الكهنة وشيوخ الدين من جميع الأديان الأخرى بشأن المندائيين. ويعود هذا إلى حد ما إلى الانغلاق المندائي على الذات من جانب شيوخ الدين المندائيين ومنذ القدم، باعتباره ديناً باطنياً لا يجوز كشف أسرارهِ. ونشأ عن ذلك، إضافة إلى عوامل أخرى لا دخل للمندائيين فيها، ومنها محاولة احتوائهم وإدخالهم في دين الآخرين، كما لحقت بهم إساءات كثيرة وتفسيرات خاطئة، وتعرضوا إلى محن وكوارث كثيرة عبر تاريخهم الطويل.

فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في كتاب (حاران كويتا) (حاران السفلى) ( Inner Harran ) ، وهو أحد الكتب الدينية الذي يتحدث عن تاريخ الصابئة المندائيين، إلى تعرضهم في القرن الميلادي الأول وفي بداية الدعوة المسيحية إلى الإرهاب والمجازر وحملة إبادة جماعية للمندائيين في مدينة أورشليم سنة 70م التي كان يسيطر عليها الحكم الروماني حيث تمت إبادة آلاف المندائيين ومن بينهم 360 رجل دين مندائي وكانت هذه المذبحة العامل الأساسي في هجرتهم الأولى من اورشليم والعودة إلى موطنهم الأصلي في وادي الرافدين ووقف التبشير بالدين المندائي مما أثر على أعدادهم لاحقاً.<sup>70</sup> يمكن هنا العودة إلى مواعظ وتعاليم (دراسة أديها) ليحيى بن زكريا الذي يشير فيه إلى العلاقة مع اليهود حينذاك.<sup>71</sup>

كما كتبت الليدي إي. أس. دراوور في كتابها (الصابئة المندائيون) عن الإبادة التي تعرض لها المندائيون في القرن الرابع عشر في مدينة العمارة حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكماً عليها، وكان ابنه فياض

<sup>69</sup> أنظر: فائز الحيدر، الصابئة المندائيون والإرهاب عبر التاريخ، موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، 7 شباط/فبراير 2013.

<sup>70</sup> أنظر " يحيى بن زكريا، دراسة أديها، مواعظ وتعاليم، بغداد، الطبعة الأولى، 2001م.

<sup>71</sup> أنظر: الليدي دراوور، الصابئة المندائيون/ مصدر سابق.

حاكما على شوشتر حيث تعرض بعض العرب على امرأة مندائية لغرض اغتصابها وعلى أثر ذلك أعلنت الحرب على المندائيين فتم قتل رجال الدين والرجال والنساء والاطفال وبقيت الطائفة بلا رجال دين لعدة سنين.<sup>72</sup> بالنسبة للمسلمين، من حيث المبدأ، يفترض أن يأخذوا بما جاء في القرآن بشأن المندائيين، إذ اعتبرهم أهل كتاب، وبالتالي فلا يجوز الإساءة لهم أو قتلهم بأي حال. فهل تصرفوا باستمرار على هذا الأساس؟ واقع الحال يشير إلى غير ذلك! فقد تصرف الكثير من الحكام وشيوخ الدين المسلمين بخلاف ذلك، ونقلوا موقفهم أحياناً كثيرة إلى أوساط المسلمين، مما أدى إلى تعرضهم للكثير من الكوارث والمحن على امتداد تاريخهم في ظل الدول ذات الأكثرية المسلمة.

فالواقع يشير إلى أن شيوخ المسلمين لم يختلفوا عن كهنة وشيوخ بقية الأديان الكتابية بشأن الديانة المندائية وأتباعها. فمنهم من رأى ضرورة فرض الجزية عليهم باعتبارهم من الذميين وأهل كتاب، ومنهم من رأى أنهم كفارا يجب قتلهم. كتب د. رشيد الخيون في كتابه الموسوم "الأديان والمذاهب بالعراق" في الجزء الأول منه بهذا الصدد ما يلي: "إن الجهل في تاريخ هذا الدين، بسبب باطنيته جعل الطبري ينقل عن المفسر عبد الرزاق الصنعاني (ت 211هـ) عن سفيان الثوري (ت 161هـ) "الصابئون قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين".<sup>73</sup> ومثل هذا التقدير ليس خطأ فادحاً فحسب، بل يعرض أتباع هذه الديانة إلى خطر القتل على أيدي المسلمين. كتب الخيون بصواب ما يلي: لا نعتقد أن في الشرق منبع الأديان، هناك قوماً لا دين لهم. ومن يطلع على كتاب "كنزاً ربا" وترجمات كتب المندائيين الأخر مثل "ديوان أباثر" ورسوم الأفلاك، والكاننات النورانية قد يعذر الزمخشري (ت 538هـ) على الشطر الأخير من عبارته التالية: "قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة".<sup>74</sup> التفسيرات الخاطئة وبعيداً عن معرفة الدين وأصوله وطوقسه كان سبباً في الكثير من الاجتهادات الخطيرة التي عرضت أتباع الديانة المندائية إلى الكثير من الكوارث والمحن. فعلى سبيل المثال لا الحصر صدرت فتاوى تعتبرهم مشركين، وبالتالي يحل على المسلمين قتلهم، منها مثلاً ما أفتى به محتسب بغداد والقاضي والفقهاء الشافعي ابي سعيد الحسن بن يزيد الإصطخري (ت 328هـ) أيام القاهرة العباسي، روى الخطيب البغدادي (ت 463هـ) في سياق ترجمة الإصطخري: أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمع بينهم مالا كثيراً له قدر فكف عنهم".<sup>75</sup>

تؤكد جميع المصادر التي تحت تصرفي إلى العراق وإيران هما موطن المندائيين. كتب الباحثان نعيم بدوي وغضبان الرومي في مقدمة كتاب الليدي دراوير الموسوم "الصابئة المندائيون" الذي قاما بترجمته ما يلي: "حول ضفتي الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمونه البطائح منهما حيث يصب النهران العظيمان مياهما في الأهوار وحيث يلتقيان في مدينة القورنة قبل أن يفرغا مياهما في الخليج العربي، وفي بطائح عربستان من بلاد إيران حول نهر كارون الذي يصب هو أيضاً مياهما في الخليج ذاته،

<sup>72</sup> أنظر: رشيد الخيون، د.، الأديان والمذاهب بالعراق، مصدر سابق، ص 115.

<sup>73</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه.

<sup>74</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه ص 116/117.

<sup>75</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه.

في تلك الأصقاع عاش ولا يزال يعيش بقايا طائفة يطلق عليها الصابئين أو الصابئة أو الصبة وتطلق هي على نفسها اسم (المندياي). وكان الصابئون المندياي هؤلاء يقطنون تلك الأصقاع حين فتحت الجيوش الإسلامية بلاد الساسانيين وكانوا بأعداد كبيرة تكفي لأن يذكرهم القرآن الكريم باعتبارهم ديناً كتابياً ويمنحهم الحماية ويسميهم (الصابئين)، هذه التسمية التي لا يزالون يُعرفون بها اليوم والتي تضمن لهم وجودهم وعيشهم بين المسلمين كدين كتابي متسامح معه.<sup>76</sup> لغة المنديانيين هي الآرامية- المندائية، وهم آراميون.

سنحاول فيما يلي أن نتطرق إلى واقع المنديانيين بالعراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة حتى الآن.

أشرنا سابقاً إلى أن المنديانيين يتسمون بخصائص إنسانية كالرغبة الجامحة في السلام والمحبة والتعاون والتضامن والابتعاد عن الصراعات وحب العراق، باعتباره وطن الآباء ولأجداد الذي شاركوا في بناء حضارته على امتداد تاريخ العراق بكل صمت وتواضع، وهم من محبي العلم والمعرفة. ومن هنا انطلقت تلك الحكمة المندائية التي تقول "ويل لعالم غير منفتح على غيره، وجاهل منغلق على نفسه". جنبهم هذه المواقف الكثير من المصاعب والآلام، رغم بروز مواقف غير ودية من جانب الحكام في فترات مختلفة من تاريخ العراق. وفي العراق الحديث، حيث وضع الدستور والقوانين ونظم العمل الحديثة، ابتعد المشرع العراقي عن ذكر أتباع الديانة المندائية في الدستور أو في القوانين والأنظمة، كما حصل بالنسبة لليهود والمسيحيين، وأهمل الجانب الشرعي في دياناتهم الآخرين في أحيان أهمل ذلك في ديانة المنديانيين، وبشكل خاص موضوع الزواج والطلاق والوراثة والزواج بغير المنديائي... الخ.

كما تجلى أيضاً في اعتبارهم يعبدون النجوم والكواكب في بعض كتب التعليم المدرسية والتي تتنافى مع موقفهم التوحيدي والذي لا يختلفون به عن المسلمين في موقفهم من الإله الخالق. كتب الكاتب العراقي المنديائي يقول: "فقد جاء بإحدى الكتب التدريسية لمادة (الدين) لجميع مدارس العراق للصف الثاني متوسط، والذي عرف بموجبه الصابئة بانهم قوم يعبدون الكواكب والنجوم، وبهذا تكون الدولة طرفاً بالموضوع، وقد ساهمت بتثقيف الشباب وتحريضهم على ممارسة العنف والقتل اتجاه أفراد هذه الطائفة، بشكل غير مباشر باعتبارهم ملحدون كفرة، رغم أن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية على إطلاع تام بمحتوى كتب الصابئة الدينية، التي قام بترجمتها الى اللغة العربية أساتذة وعلماء من الجامعات العراقية، وبإشراف الوزارة نفسها وباقي دوائر الدولة المعنية بما فيهم صدام حسين نفسه. وبمعنى آخر أن الدولة أباحت جريمة قتل أبناء هذه الطائفة عمداً مع سبق الإصرار مع الاسف الشديد. وهناك وقائع مادية وأمر سلبية أخرى عديدة مدونة بشكل رسمي أمام القضاء لا يسمح المجال لطرحها جميعها الآن."<sup>77</sup> وإذا كان هذا الأمر قد أساء لهم كثيراً

---

<sup>76</sup> أنظر: الليدي دراور، الصابئة المنديائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، 2006، ص 7.

أنظر: عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المنديانيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013.

<sup>77</sup> أنظر: أنظر: عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المنديانيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013. أخذ المقطع بتاريخ 2018/05/04.

خلال الفترات المنصرمة وقبل إسقاط دكتاتورية البعث وإقامة النظام السياسي الطائفي على أنقاضه من جانب الحكومات العراقية المتعاقبة، فأن الدستور العراقي الجديد قد جاء على ذكر المندائيين مرة واحدة في الفقرة ثانياً من المادة الثانية، إذ نصت:

ثانياً: يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهوية الاسلامية لغالبية الشعب العراقي، كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الافراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية، كالمسيحيين، والإيزيديين، والصابئة المندائيين. 78

كما إن البطاقة التمويئية الجديدة قد تضمنت ما يسيء إلى المندائيين على وفق ما جاء في بيان لرئاسة الطائفة، نرفق هنا نصه:



راجع: مجلس شؤون الصابئة المندائيين العام في العراق، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

وفي الواقع العملي لا يتمتع الصابئة المندائيون بأي حرية فعلية، لأنهم يعيشون في تهديد دائم من قبل قوى الإسلام السياسي المتطرفة، كم إن الحكومة لا توفر لهم أي وضع أمن، بل ربما بعض القوى الحاكم ترتاح لهجرة بقية المندائيين من العراق، تماماً كما هو الموقف من بقية أتباع الأديان والمذاهب الأخرى ومنهم المسيحيون. فقد تعرض المندائيون بالعراق، سواء أكان في موطنهم الأصلي جنوب العراق، أم ببغداد، إلى شتى صنوف الاضطهاد والمطاردة والتشريد والقتل والتهجير، إضافة إلى سلب دورهم ومحلات

78 الدستور العراقي لسنة 2005.

عملهم وما فيها من جانب الميليشيات الطائفية المسلحة التابعة للأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية بشكل خاص في مناطق الجنوب وبغداد، إضافة إلى التنظيمات الإرهابية السنية، كالقاعدة وداعش أو غيرها.

ليست لدينا معلومات تفصيلية عن عدد السكان المندائيين في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. وأول المعلومات المتوفرة تعود إلى الإحصاء الرسمي لعامي 1957 و1965، إذ لم يذكر عن أتباع الديانة المندائية قبل ذلك بشكل مستقل عن بعض الأديان الأخرى، بل كان أتباع الديانة المندائية يدمجون مع الإيزيديين وأتباع ديانات أخرى، وتذكر تحت باب "آخرون".

والجدول التالي يشير إلى عدد نفوس المندائيين في هاتين السنتين 1965 و12957:

المنطقة	السنة	عدد سكان الصابئة المندائيين بالعراق في عامي 1957 و1965	نسبة المندائيين إلى نسبة السكان العراق والمناطق %
العراق	1957	11.825	0,03%
العراق	1965	14.262	0,18%
المحافظات الشمالية	1957	359	3,0
المحافظات الشمالية	1965	305	2,1
المحافظات الوسطى	1957	5.421	45,1
المحافظات الوسطى	1965	7.492	52,5
ومنها بغداد	1957	3.768	31,9
ومنها بغداد	1965	6.271	43,9
المحافظات الجنوبية	1957	6.305	52,2
المحافظات الجنوبية	1965	6.465	45,3

المصدر: د. فاضل الأنصاري، مشكلة السكان، مصدر سابق، ص 31 و32.

ورغم هجرة جمهرة غير قليلة من المندائيين إلى خارج العراق في فترة حكم البعث، بسبب مواقف المعارضة من استبداد النظام وبطشه ومن ملاحقة أجهزة الأمن لهم وابتزازهم، فإن عدد السكان الصابئة قد قدر بـ 70000 نسمة في نهاية عام 2002 وبداية 2003. وتشير آخر المعطيات المتوفرة إلى إن عدد المندائيين بالعراق لا يزيد عن عدد يتراوح بين 7000 - 10000 نسمة، ونسبة مهمة من هذا العدد تعيش بإقليم كردستان، ولاسيما أربيل حيث بنوا معبدهم المسمى "المندي". وبهذا يكون عدد المهجرين قسراً يصل إلى رقم خيالي بالنسبة للأقلية الدينية السكانية المندائية، إذ بلغ حدود 60000 نسمة أو ما يعادل 85% من المندائيين. وهم يعيشون اليوم بأوروبا، ولاسيما بالسويد والولايات المتحدة وكندا وأستراليا والأردن، حيث تعتبر الدولة الأردنية موقع العبور لهم إلى دول العالم الأخرى. إنها جرائم بشعة تلك التي ارتكبت بحق الأفراد والعائلات المندائية خلال الفترة الواقعة بين 2003-2016، إذ بلغ عدد القتلى على أيدي الميليشيات الطائفية

المسلحة والإرهابية بـ 193 شهيداً.<sup>79</sup> ولا بد من الإشارة إلى أن الجرائم ضد المندائيين ما تزال ترتكب حتى الآن بهدف إشاعة الرعب في صفوفه ودفعهم للهجرة من وطنهم والسيطرة على أملكهم، إنها جريمة مستمرة ولم يوضع لها حد حتى الآن.

---

79 أنظر: التقرير السنوي عن حالة حقوق الإنسان في العراق لعام 2016 الصادر عن الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.

## الفصل السادس

### محن وكوارث الشبك بالعراق

إلى بنات وأبناء شعبنا العراقي، إلى إخوتنا في الإنسانية، إلى المواطنين والمواطنين الشبك، أقدم لكم جميعاً خالص تعازي لمن سقط منكم شهيداً أو جرح وعوق لأسباب سياسية، أو دينية، أو مذهبية، أو عنصرية وشوفينية، على امتداد الفترات المنصرمة ولاسيما في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية والصدامية الغاشمة وقيام نظام سياسي طائفي مقيت ومحاصصة مذلة للإنسان العراقي، رجلاً كان أم امرأة، بإصرار من الإدارة الأمريكية وولاية الفقيه بإيران وشيوخ الدين والأحزاب الإسلامية السياسية الطائفية بالعراق، ومن ثم، وبشكل أبشع، بعد اجتياح الموصل وعموم محافظة نينوى حيث وقعت ضحية سهلة في أيدي الدواعش الأوباش، بسبب السياسات الرجعية والمشوهة التي مارستها القوى الطائفية الحاكمة بالعراق، والتي سمحت لولوج هذه الجماعات الإسلامية السياسية المتطرفة والمتوحشة من ثغرة النظام السياسي المركزية، من الطائفية في الفكر والممارسة اليومية، إلى العراق. أنتم، كغيركم من أبناء وبنات محافظة نينوى والمحافظات الغربية والحويجة وديالى عانيتم الأمرين تحت الاحتلال الداعشي وسطوته، أو أجبرتم على النزوح إلى مناطق أخرى، وعانيتم بقسوة كبيرة منها ومن الهجرة القسرية والتمييز. أحبيكم بحرارة وأشد على أيديكم، فأنتم وغيركم جزء من هذا الشعب، وأبناء وبنات هذا الوطن المستباح حتى الآن بالطائفية والفساد والإرهاب!!!

الشبك مكون عراقي يعتنق الإسلام ديناً، وأفراده على مذهبين: الشيعي الجعفري أو الإمامي، وهم يشكلون الأكثرية، والسني الشافعي، وهم يشكلون الأقلية. والعيش المشترك بين معتنقي المذهبين في الإسلام لم تنغصه الصراعات المذهبية.

اختلف الباحثون والكتاب بثلاث مسائل جوهرية بشأن الشبك، وهي:

1. الموطن الأصلي للشبك ومتى قدموا إلى العراق؛ 2. الديانة والمذهب الذي يعتنقه الشبك؛ و3. وهل يشكلون قومية خاصة بهم أم أنهم جزء من قومية أخرى، وما هي اللغة التي يتحدثون بها. لقد ذهب الباحثون مذاهب كثيرة في تشخيص الإجابة عن هذه الأسئلة.

لقد تسنى لي قراءة عشرات المقالات والكتب التي بحثت في موضوع الشبك والمناقشات التي جرت حتى الآن بين الباحثين، والكتاب والتي في الغالب الأعم لم تتوصل إلى وحدة الرأي. ويبدو إن هذه المسألة ستبقى محوراً للنقاش في الفترة القادمة أيضاً. ولكن لا بد للباحث، إضافة إلى سعيه في التحري عن مصادر قديمة تشير إلى وجهة الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد من الحوار مع أصحاب الشأن وذاكرة عائلاتهم وما سجل لديهم بشأن الإجابات المطلوبة. وفي الآونة الأخيرة التقيت مع السيد يوسف محرم، المقيم مع عائلته ببرلين واستمعت لوجهة نظره ورؤيته للمسائل المطروحة، كما اطلعت على الدراسة التي أعدها أثناء دراسته الجامعية، ومن ثم دراسة الأستاذ سعد سلوم<sup>80</sup> والأستاذ زهير كاظم عبود عن الشبك<sup>81</sup> وكذلك دراسة الدكتور رشيد الخيون<sup>82</sup> واللقاءات التي أجريت مع الباحث والسياسي والنائب الدكتور حنين كدو وما نشره بصدد الشبك، باعتباره أحد أبناء الشبك وممثلاً عنهم في المجلس النيابي العراقي في الوقت الحاضر.

لقد استخلصت من كل ذلك المسائل التالية:

الشبك قوم قدموا إلى بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) من منطقة حوض بحر قزوين بنهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ضمن الحملة التي قادها تيمور لنگ (تيمور الأعرج) ( 1336 - 1405م) على المنطقة في الفترة بين 1397/1398-1405م)، بما فيها مدينة الموصل. لقد كان جيش المغول لا يتكون من جنود مغوليين فحسب، بل من جنود ينتسبون إلى أقوام أخرى كانت تحت سيطرة المغول والقائد المغولي تيمور لنگ في اجتياحه العسكري صوب العراق والشام... الخ. وقد استقرت مجاميع مختلفة من الجنود والعوائل التابعة لقوات المغول بالعراق، ومنهم عائلات من الشبك. كما إن الحملات العسكرية اللاحقة من جانب الصفويين أو غيرهم قد جلبت معها الكثير من الأقوام إلى العراق لتقطن فيه، ومنهم الفرس أيضاً. وهم بهذا المعنى قوم ضمن الأقوام التي كانت خاضعة لسيطرة المغول على حوض بحر قزوين، وأن اسمهم "الشبك" متأتي من اسم الملك والقائد العسكري الذي كان الشبك تحت أمرته، واسمه الشاه بگ، والتي تحورت لتصبح الشبك. وفي مناطق الشك هناك قرية باسم المنارة شبك أصبحت منذ القدم مقبرة لموتى الشبك، والتي يقال أن الشاه بگ مدفون فيها. هم يعتقدون جازمين بأنهم ليسوا من القومية التركية أو الكردية أو الفارسية، بل قومية خاصة بهم، إنها القومية الشبكية. ويبدو أنهم منذ أن كانوا في حوض بحر قزويني قد تبناوا المذهب الشيعي، ولكن قرب قرى بعينها من الموصل بأكثرية السنية قد أثر على مذهب هذه القرى وحولها إلى المذهب السني، كما إن جوارهم لكردستان قد ساهم بتبني المذهب

80 أنظر: سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات الدينية في العراق، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بيروت-بغداد، 2015.

81 أنظر: زهير كاظم عبود، الشبك، سلسلة كتب سرمد العربي، طبعة أولى، السليمانية، إقليم كردستان العراق، 2006.

82 أنظر: رشيد الخيون د.، الأديان والمذاهب في العراق: ماضيها وحاضرها، مركز المسبار، دبي، 2016.

السني الشافعي. ولا زال الشيعة منهم حتى الآن على التقاليد الإمامية، رغم دخول الكثير من الطقوس البكتاشية بحكم وجودهم ضمن العراق وتحت الهيمنة العثمانية، وهي طقوس قريبة من طقوس الشيعة الإمامية مع بعض المغالاة في موضوع الحسين وأهل البيت. ويشار إلى أن كبار السن، وجمهرة من الشباب، من الشبك لا زالوا يمارسون التقاليد والطقوس البكتاشية المعروفة عن الطائفة البكتاشية بتركيا وبعضهم بالعراق. إلا أن اقترابهم من الحوزة الدينية الشيعية، إضافة إلى هيمنة الأحزاب الشيعية على الحكم بالعراق قد ساعدت على تغلغل الأحزاب الشيعية في صفوفهم وكسب المزيد منهم إلى التقاليد والطقوس الشيعية، ولاسيما الشباب منهم.

وللشبك لغتهم الخاصة، التي هي ضمن اللغات الهندو-أرية المستقلة التي دخلت عليها كلمات تركية وفارسية وربما بعض الكلمات الكردية، ولكنها خاصة بهم ويستخدمون الحروف العربية، ولكنها تكتب بشكل أفضل بالحروف اللاتينية. وبهذا المعنى فهم مكون قومي شبكي وديني إسلامي بمذهبين شيعي جعفري متشابك مع الطريقة البكتاشية، وسني شافعي.

يذكر السيد يوسف محرم إلى أن " للشبك عادات وتقاليد خاصة متميزة من حيث إقامة الاعياد و المناسبات الدينية والاعراس، وممارسة باقي التقاليد الاجتماعية... لأقلية الشبك زي خاص تراثي فلكلوري ذات قيمة تاريخية خاصة بهم. يوجد في مناطق الشبك مزارات ومقامات دينية مقدسة مثل مقام الامام زين العابدين ع ومقام امام الرضا وامام العباسية ومرقد قلورش ومزارات دينية اخرى".<sup>83</sup> من هنا فهم يرفضون محاولات جعلهم جزءاً من القومية الكردية، كما يرفضون الادعاء بكونهم جزءاً من القومية التركية، إضافة إلى إنهم يرفضون الادعاء لكونهم من القومية الفارسية أو جاءوا مع الصقويين إلى العراق، كما إنهم قاوموا محاولات تعريبهم من جانب النظام البعثي، بالرغم من أن جوازاتهم وهوياتهم الشخصية ما تزال تحمل الأسماء أو الألقاب العربية التي فرضت عليهم. يشير تقرير كتبه يوسف محرم بشأن أوضاعهم بالعراق إلى ما يلي:

"مع تعاقب الحكومات في العراق أستمّر مسلسل تهيمش الشبك حتى سيطرة حزب البعث على الحكم بالعراق، حيث استخدم النظام سياسة التعريب ضد الشبك ومسح هويتهم ومحاولة إنهاء وجودهم بشكل نهائي في العراق وإجبارهم على التسجيل في الهويات الشخصية بأنهم عرب والانتساب الى القبائل العربية. ولم يكتف بسيااسة التعريب في محاولة إنهاء وجود الشبك فحسب، بل قام النظام بين عامي 1987 و1988 بعمليات أنفال ضد عائلات الشبك في منطقة سهل نينوى، وذلك بهدم منازلهم وقراهم واعتبارهم تبعية إيرانية وليسوا عراقيين. كما تم اعتقال الكثير من الشخصيات الشبكية المعروفة ومن رجال الاعمال لأسباب طائفية، وإجبار رجال الدين الشبك على تطبيق منهاج البعث في ممارسة الطقوس الدينية".<sup>84</sup> تشير المعلومات المتوفرة إلى إن الشبك يستوطنون 56-72 قرية وناحية ومدينة تقع في شرقي الموصل وعلى الجانب الشرقي من نهر دجلة وتتبع إلى أربعة أقضية هي: قرقوش، والموصل وتلكيف، والحمدانية. قدّرت سلطات

83 تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب).

84 المصدر السابق نفسه.

الاحتلال البريطاني نفوس الشبك في العام 1925 بـ 10000 نسمة، وبلغ نفوسهم على وفق إحصاء العام 1977 بحوالي 80000 نسمة.<sup>85</sup> كما قدر في العام 2002 بحدود ربع مليون نسمة.

عاش الشبك أوضاعاً طبيعية في العهد الملكي حيث اعترف بهم النظام السياسي حينذاك في كونهم يشكلون قومية بذاتها هي القومية الشبكية، وأنهم يتبعون مذهبين الشيعي والسني. يتحدث الشبك عن حالتين في أوضاعهم بالموصل في العهد الملكي:

أولاً: علاقات تعايش سلمي متميز وتعاون وتضامن وحسن جوار بعيدا عن أي شكل من أشكال العنف أو استخدام السلاح بين المكونات القاطنة في سهل نينوى، وهم المسيحيون والإيزيديون والتركمان والشبك.

ثانياً: علاقات تمييز وتهميش من جانب إدارة الموصل وأهل الموصل السنة، باعتبارهم شيعة روافض: فكان التعامل يجري عملياً على النحو التالي: أهل الموصل السنة درجة أولى، العائلات المسيحية درجة ثانية والعائلات الإيزيدية درجة ثالثة، والشبك درجة رابعة. وكانوا يعانون من العزلة وعدم التعامل الاقتصادي معهم.

أما في فترة البعث الثانية فقد تعرضوا لعملية تعريب صارخة. لقد أصدر النظام أوامر تقضي بتسجيل العراقيين في شمال العراق أما عربياً أو كرداً، فسجل عدد يتراوح بين 300-400 شخص كأكراد، وسجل بقية الشبك كعرب. وأعطيت لهم في التسجيل ألقاباً عربية أو حورت أسماءهم. مثال على ذلك يوسف محرم سلمان البو حيّو، أصبح يوسف محرم سلمان النعمي، في حين أنه من عائلة شبك معروفة في أوساط الشبك.

أما الذين سجلوا بأنهم كرد، وهم من قرى الشبك، فقد أصبحوا ضمن الفرسان (الجوش)، وهجروا من مناطقهم إلى دشت حرير بإقليم كردستان، حيث أقيم لهم حينذاك مجمع سكني. وعلى العموم فقد عاشوا في هذه الفترة تحت وطأة التمييز المشدد، نورد هنا على سبيل المثال لا الحصر ما كانوا يعانون منه في محافظة نينوى.

\*\* النظرة الدونية للشبك باعتبارهم روافض وعدم التعامل الاقتصادي من باب التعالي، \*\* منع الزواج معهم، والابتعاد عن إقامة علاقات اجتماعية معهم، \*\* عدم السماح لهم بالعمل في الإدارة أو في الأمن أو التعليم، \*\* وجود تحفظ على الشبك عموماً من منطلق خاطئ أنهم جاءوا مع الغزاة وساهموا في الحملات التي تعرضت لها الموصل!! \*\* وقد أدى هذا إلى انغلاق الشبكيين على أنفسهم ومحاولة العيش في اكتفاء ذاتي من خلال نشاطهم الاقتصادي في قطاعي الزراعة ورعي الماشية. ويشير السيد يوسف محرم إلى هذا الموقف بما يلي:

كانت النظرة التي تجعل الآخر في مرتبة أدنى اجتماعياً موجودة في البيئة الموصلية التي عشت فيها، فقد كان المجتمع الموصل يَنْظُر نظرة دونية إلى الإيزيدي والشبكي وفي بعض الأحيان إلى الكردي أيضاً.

<sup>85</sup> قارن: ديوان أوقاف الأديان المسيحية والإيزيدية والصابئة المندائية، العراق نصرت مردان 4 كانون الأول/ 2010).

وبعداً بدأت مظاهر التمييز تنتقل إلى المجتمع الكردي بوصفه مجتمعا أكبر، فأخذ الشبكيون يواجهون هذا التمييز في المحيط الكردي بعد أن كانوا يعانون منه في محيطهم العربي.<sup>86</sup>

بعد سقوط الدكتاتورية البعثية استتبشّر الشبكيون خيراً، وتمنوا أن تنتهي أيام التمييز والعزلة والحرمان. وقد بدأ فعلاً بعض الانفراج. إلا إن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، إذ في أعقاب تفجير مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في مدينة سامراء، بدأت حملة ظالمة ضد الشبكيين بالموصل وسهل نينوى، وبدأ القتل على هوية الشبكيين باعتبارهم شيعة روافض وبكتاشية. وتم قتل أكثر من 1500 إنسان من الشبكيين الذكور وبعض النساء بين 2005-2014، أي حتى اجتياح الموصل من تنظيمات القاعدة وداعش التي كانت لها مواقع قوية بالموصل ودور كبير في تصفية الكثير من الناس. كما حصلت عملية تهجير واسعة بلغ عدد الذين هجروا 1200 نسمة من الشبكيين من مدينة الموصل ومن أيسر الموصل، أي من أحياء نينوى الشرقية والميثاق والتأميم والبر وأرجية والوحدة. كما تعرض الإيزيديون إلى قتل واسع بالموصل وفي المناطق التابعة لمحافظة نينوى في ذات الفترة. ولكن الشبكيين تعرضوا لمعاملة سلبية من جانب الأحزاب الكردستانية، إذ يشير التقرير الذي أمتك نسخة منه إلى ما يلي:

"مارست الأحزاب الكردية وبأخص منها الحزب الديمقراطي الكردستاني وكذلك الاتحاد الوطني الكردستاني أشجع أنواع سياسات إذابة هوية الشبكيين من خلال سياسة التكريد وفرض الهوية الكردية على الشبكيين والضغط على أبناء الشبكيين من خلال حملات الاعتقال والتهديد والترهيب. كما أن قسماً من الأحزاب الكردية فتح مقرات حزبية له داخل قرى الشبكيين واجبارهم على الانتماء للحزب الديمقراطي الكردستاني، وكذلك تغيير ديمغرافية مناطق الشبكيين من خلال توطين عوائل كردية في مناطق الشبكيين ومنع الشبكيين من بيع وشراء وحرية التصرف بممتلكاتهم وفرض عليهم اللغة الكردية والتدخل في حياتهم الاجتماعية والتدخل في مناسبات الشبكيين الدينية وافتتاح مراكز ثقافية تابعة لحزب الديمقراطي الكردستاني من أجل مسح ثقافة الشبكيين وتكريدها، إضافة إلى منع الشبكيين من حق التمثيل السياسي من خلال السيطرة على كوتا الشبكيين في مجلس النواب العراقي.<sup>87</sup> أما بعد اجتياح داعش للموصل وسهل نينوى ابتداء من حزيران 2014 فقد وقعت أبشع الكوارث والمآسي وعمليات الإبادة الجماعية بالمكونات الدينية والقومية بالموصل ومحافظة نينوى ولاسيما ضد المسيحيين والإيزيديين والشبكيين والتركمان الشيعة من أهالي تلغفر. يشير التقرير السابق ذكره إلى أوضاع الشبكيين تحت الهيمنة الداعشية إلى ما يلي:

"بعد أحداث 10. 6. 2014 وسيطرة تنظيم داعش الإرهابي على مدينة الموصل وقبل دخوله منطقة سهل نينوى سيطر التنظيم على ما يقارب 9 قرى من أقلية الشبكيين وهي تقع على الحدود بلدية مدينة الموصل، حيث ارتكب التنظيم أعمالاً إرهابية فيها من قتل وخطف. فقد ذبح تنظيم داعش الإرهابي في قرية "سادة بعويزه"، التي تقع شمال شرق مدينة الموصل، أكثر من 4 عوائل من الشبكيين بجميع أفرادها واختطف أكثر

<sup>86</sup> في لقاء خاص مع السيد محرم بتاريخ 2018/03/26، الساعة 14 بعد الظهر، ك. حبيب.

<sup>87</sup> تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب.

من 50 شاباً وشيخاً من قرية "عمر كان" الشبكية، التي تقع جنوب شرق مدينة الموصل، ومصيرهم مجهول لحد الآن. كما قام باختطاف العشرات من الشبان من أهالي قرية "بازوايا" وقرية "كوجلي" وتم قتلهم جميعاً. وبسبب انسحاب قوات البيشمركة الكردية من منطقة سهل نينوى وسيطرة داعش على مناطق وقرى أقلية الشبك في سهل نينوى، نفذ الدواعش تهجير جميع المواطنين والمواطنات الذين ينتمون الى أقلية الشبك ويقدر عددهم بحدود 350 ألف نسمة اي ما يعادل 20 % من اجمالي سكان مدينة الموصل. وكذلك نفذ تنظيم داعش عمليات اختطاف لأكثر من 300 شخص من أقلية الشبك، قسم منهم وضع في سجن بادوش والذي كان تحت سيطرة تنظيم داعش الإرهابي، وقسم اخر في سجون مدينة الرقة السورية. عثر في الفترة الماضية على ثلاث مقابر جماعية تتكون كل مقبرة على مجموعة كبيرة من المدنيين من أقلية الشبك في منطقة "الحاوي" وقضاء "سنجار" وناحية "الگوير". لم يقف سلسلة جرائم تنظيم داعش الارهابي الى هذا الحد، بل قام بتفجير جميع المقامات الدينية والمواقع الاثرية الخاصة بأقلية الشبك في قرية "علي رش" وقرية "تيس خراب" وقرية "العباسية" وقرية "بازوايا" و"خزنة تبة" و"منارة شبك"، كما قامت بتفجير المواقع الاثرية في قرية "طبرق زيارة". نشر تنظيم داعش الارهابي وعلى صفحات التواصل الاجتماعي بتاريخ 19.3.2015 صور يصف بها كيفية تفجير الحسينيات والمراقد والمراكز الدينية الخاصة بأقلية الشبك، وقدر ذلك بأكثر من 8 مواقع. بعد تهجير جميع المدنيين من أقلية الشبك الى محافظات وسط وجنوب العراق وإقليم كردستان يعاني المدنيون من أقلية الشبك أصعب الظروف المعيشية وقلق مع انعدام الامن وانعدام الرعاية الصحية والتعليم، وكذلك تفشي الكثير من الأمراض بين الأطفال والنساء وكبار السن مع ارتفاع عدد الوفيات، كلها بسبب سوء الظروف المعيشية وارتفاع مستوى الأمية والبطالة بين المواطنين والمواطنات، ووصل الإرهاب إلى حد الإبادة الجماعية ضدهم، حسب المعايير والقانون الدولي للإبادة الجماعية.<sup>88</sup>

## الفصل السابع

### العراقيون الزرادشتيون

الزردشتية ديانة قديمة يبلغ عمرها قرابة 3500 سنة، ظهرت بمنطقة أذربيجان بإيران والمنطقة التي يعيش فيها الكرد (أورمية) والتي يطلق عليها الفرس "الرضائية" أيضاً، إذ كانت ضمن دياناتهم القديمة، ولا زال هناك من يعتنقها بإيران والعراق، إضافة إلى دول أخرى مثل الهند. وهي ديانة توحيدية تؤمن بـ "الخالق غير المخلوق"، وتؤمن بوجود صيغتين للإله الواحد، أهورا مزدا "إله النور والخير"، إله العقل والحكمة والمعرفة، وأهريمان "إله الظلام والشر"، الإله الذي يرفض العقل والحكمة والمعرفة، وهما في صراع دائم. والزرادشتيون يقدسون العناصر الأربعة النار والماء والهواء والتراب، ويحرمون تدنيسها، باعتبارها عناصر ظاهرة. وعند الصلاة يتوجهون صوب النور ولاسيما الشمس. وقد شرح غاستون بلاشر العوامل التي دفعت الديانات القديمة إلى التركيز على هذه العناصر الأربعة ذات الأهمية الفائقة في حياة الإنسان، التي أدركها وعبر عنها زرادشت، على النحو التالي:

- النار: تُضيء وتُدْفئ، انها تُعْصِر قوة الانسان وسموه على العالم الحيواني ولكنها يمكن ان تنقلب ضده، فالنار تحرق، وهي على علاقة مع الشمس.
- الماء يُطهر: إضافة إلى ذلك يعتبر مصدر الحياة أو التجدد، ومن هنا كان طقس البنابيع المنتشرة جداً، والشعائر الكثيرة في كل الديانات تقريباً.
- الهواء: هو العنصر السماوي، ومن هنا يكون الارتفاع في المسيرة الروحية.
- الأرض: رمز الخصب والخصوبة كذلك. ولها علاقتها مع الولادة والموت، والحياة هي رمز هذه الثنائية.<sup>89</sup>

الديانة الزردشتية سبقت الديانات الكتابية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وانتشرت في منطقة واسعة من آسيا، ولم تتجاوزها، وهي ما تزال تجد بقايا لها في عدد من دول العالم الآسيوي، بما فيها إيران. كما برزت مجدداً بإقليم كردستان العراق، رغم إنها لم تختف يوماً. ظهرت الزرداشتية كديانة في فترة بدأت فيها الديانة الميثرائية بالأقول. وكان زرادشت أول من وضع أسسها وبدأ بنشرها، وتبنى بعض الجوانب المهمة من الديانة الميثرائية، وحلّت عملياً محلها. وتدرجاً اندثرت الديانة الميثرائية، وانتهت عبادة الإله العظيم ميثراس Mithras وحلت عبادة الإله "أهورا مزدا" محلها. وقد

<sup>89</sup> أنظر: فيليب سيرنج، رمزية العناصر الأربعة، ترجمة عبد الهادي عباس، موقع غاستون باشلار

جاء ذكر الإله ميثرا "في أقدم الكتب المقدسة (ريك فيدا) باسم (ميثرا) وفي الآفستا باسم (ميثرا) بأنه اله النور حامى حقى الحقيقة وعدو الكذب والخطيئة ، وورد فى (الآفستا) عن (ميثرا) بأنه يعاقب كل من حلف يميناً كذبا أو ينحرف عن الحق والصواب والنزاهة ، انه يحطم القبائل والجماعات المناهضة له، ويهب الصحة والصداقة والرجاء للذين يمجّدونه ويكون حليفاً مؤيداً لمن يندرون أنفسهم له.<sup>90</sup> فمن هو زرادشت؟

زرادشت

يعتبر زرادشت إحدى الشخصيات الإصلاحية التي ظهرت فى منطقة الشرق الأوسط أو جنوب غرب آسيا. ويعتبره أتباع نبياً ضمن مجموعة الأنبياء الذين وضع كلا منهم ديناً يحمل الكثير من عقائد وطقوس وتقاليده الديانات السابقة، مع إضافة تعاليم وطقوس وعقائد دينية جديدة أو متقاربة. وحين الاطلاع على جوهر الدين الزرادشتي سيجد فيه الكثير جداً من قيم وسمات وخصائص وطقوس أو عقائد الديانات السابقة له أو تلك التي وجدت فى ذات الحقبة الزمنية. كما إن العديد من الديانات التي ظهرت بعد ذلك أخذت من الزرادشتية أو غيرها جملة من القيم والأفكار والعقائد والطقوس الدينية، كما هو حال الدين الإسلام مع الديانة اليهودية والمسيحية أو هاتين الديانتين مع الديانات البابلية، والتي يمكن الاطلاع عليها فى الرقم التي وجدن فى حفريات بابل ونيوى وغيرها أو فى التلمود البابلي الذي يعتبر أهم كتاب مقدس لدى يهود العالم بعد التوراة، والذي كتب ببابل. وكان الدين الزرادشتي أحد أهم الديانات التي مثلت القطيعة الفعلية مع تعدد الآلهة والأخذ بمبدأ الإله الواحد، كما هو حال الديانات الإبراهيمية أو قبل ذلك بالنسبة للديانة المندائية مثلاً.

الدراسات والأبحاث والكتب الكثيرة المنشورة عن زرادشت تشير إلى وجود تباين فى مسالتين: المسألة الأولى: يبرز التباين فى أن البعض من الباحثين يعتبر شخصية زرادشت أسطورية ولم تكن موجودة أصلاً، فى حين هناك الغالبية العظمى من الباحثين، ولاسيما من الشرق، يؤكدون وجود مثل هذه الشخصية والشواهد على ذلك كثيرة ومهمة، ويمكن متابعة نموذج للنقاش فى هذا المجال فى كتاب الباحث زهير كاظم عبود، الزرادشتية، الذي يؤكد فيه وجود مثل هذه الشخصية الدينية فعلاً بالاعتماد على الكثير من الدلائل الملوسة وما اكتشف من أثار بإيران تؤكد وجوده ودوره فى وضع الدين الذي سمي باسمه، إضافة إلى الكتب القديمة التي تأتي على ذكره وعن أعماله ودوره فى نشر الدين ومثله وقيمه الإنسانية.<sup>91</sup> المسألة الثانية: التباين فى تحديد فترة ولادته وعمله، فهناك من يشير إلى أنه ولد وعمل خلال الفترة الواقعة بين 1000 – 500 ق.م.، وهي الفترة التي ظهر فيها بوذا وكونفوشيوس.<sup>92</sup> ويشير الباحث زهير كاظم عبود إلى فترة ولادة زرادشت بقوله: "ويقدر الباحثون ان زرادشت ولد فى حدود 628 قبل الميلاد، وأنه توفى فى العام 551 أو نحوهما، وهناك من يذكر أنه ولد فى الفترة 660 – 583 قبل الميلاد ومسقط

<sup>90</sup> أنظر: ميثرا، موقع المعرفة الإلكتروني، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/17.

<sup>91</sup> أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 21/20.

<sup>92</sup> Siehe: Heiko Diadesopulus, Zoroaster: Urvater der Religion des Umbruchs, Philognosie, Wissen gestaltet die Welt, 08.09.2017.

رأسه بلاد الماديين بأذربيجان..<sup>93</sup> وأن ولادته كانت بمدينة أورمية والتي يطلق عليه الإيرانيون "رضائية"، وتتلذذ على يد الحكيم الشهير "بوزين كوروس"، إذ اهتم والده بتعليمه منذ كان في سن السابعة من عمره وظل الابن معه ثمانية أعوام درس فيها عقيدة قومه، ودرس الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى، ثم عاد إلى موطنه بعد هذه الأعوام الطوال<sup>94</sup>. وتشير الباحثة آمنة محمادي في مقال لها منشور في الحوار المتمدن بهذا الصدد ما يلي: "تنسب الديانة الزرادشتية إلى "زرادشت" بن "يوشارب"، الذي ظهر في زمن "كشتاسف" بن "لهراسب" الملك، وأبوه من "أذربيجان"، وأمه من "الري". ولد عام 598 أو 599 ق م، وتوفي في 522 أو 521 ق م، وفي فترة ظهور زرادشت كان ظهور "بوذا" في الهند وظهور "كنفشيوس" في الصين، وظهور الفلاسفة الإغريق.<sup>95</sup>

وخلال هذه الفترة امتلك الحكمة والطب ومعرفة الأعشاب واستخداماتها، ومعرفة معمقة بالأحجار الكريمة، إضافة إلى كونه أصبح فلكياً مرموقاً. إن دراسته ومعرفته بالديانات القديمة، ومنها الميثرائية، وإطلاعه على الديانة اليهودية، مكنته من أن يضع لنفسه، ومن ثم للمؤمنين بدينه، فلسفة أو عقيدة دينية جديدة تأخذ من الماضي وتستلهم الحاضر والمتغيرات الحاصلة في المجتمع الزراعي الذي كان يعيش فيه. يؤمن الزرادشتيون بأن زرادشت نبي، وهو نبي آخر الزمان، أي لا يأتي من بعده نبي آخر، وهو الأمر الذي نجده لدى أتباع أكثر من دين واحد. يؤكد زرادشت في صلواته على وحدانية الإله فهو يقول، كما "جاء ذلك على صفحات الـ(أفت) حيث ينبعث صوت زرادشت عبر سطور الـ(جاتها ياسنا) يناجي الإله (أهور مزدا).

إنّي لأدرك أنّك أنت وحدك الإله وأنك الأوجد الأحد، وإنّي من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من يقيني هذا الموقن أنّك أنت الإله الأوجد.. اشتدّ يقيني غداة انعطف الفكر مني على نفسي يسألها: من أنت؟ ولفكري جاوبت نفسي؛ أنا؟ إنّي زرادشت أنا، وأنا؟ كاره أنا الكراهية القصوى الرذيلة والكذب، وللمعدل والعدالة أنا نصير! من هذه أتفكر الطبيعة التي تحوم في خاطري، ومن هذا الانعطاف الطبيعي في نفسي نحو الخير، ومن هذا الميل الفطري في داخلي إلى محق الظلم وإحقاق الحقّ أعرفك. من هذه الانفعالات النفسية والميول الفكرية التي تؤلّف كينونتي وتكوّن كياني ينبجس في قلبي ينبوع الإيمان بأنك أنت وحدك أهورا مزدا، الإله وأنك الأوجد الأقدس الخيّر الحقّ.<sup>96</sup>

93 أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، مصدر سابق، ص 42.

94 أنظر: زرادشت (Zoroaster (ZOHR-oh-as-tar)(Avestan: Zaraϑuštra)، موقع المعرفة، 2018/05/17.

95 أنظر: آمنة محمادي، فلسفة الدين الزرادشتية، موقع الحوار المتمدن، المحور: الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع العدد 4744، 2015/03/10.

96 أنظر: الزرادشتية، موقع الميثولوجيا والتاريخ، (الأي 44 من الجاتها ياسنا)، مدونة تعنى بعرض ودراسة الميثولوجيا والتاريخ والأديان،

## الديانة الزرادشتية

ينطلق زرادشت في دينه من وجود إله واحد كلي القدرة وموجود في كل مكان وعلى الناس أن يعبدوه. ولكن هذا الإله الواحد يظهر في الدين الزرادشتي بثنائية، بالهين منفصلين عن بعضهما ومتصارعين دوماً، إنهما: الإله أهورا مزدا، إله الخير والنور، والإله أهريمن، إله الشر والظلام. وإن إله الخير والنور هو المنتصر في المحصلة النهائية. كما يطرح الدين موضوعاً أن العالم منقسم إلى عالمين: عالم النور وعالم الظلام، عالم الخير وعالم الشر. ويشار إلى مسائل الزرادشتية تستند إلى قاعدتين اثنتين: أولاهما بيان امتزاج النور بالظلمة، وثانيهما بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعل الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً. كما إن النور هو الأول بالظهور.

وفي هذا تتجلى رؤية التناقض الفلسفية التي تجد تعبيرها في الوجود كله في الديانة الزرادشتية. وإذ يدفع أهورا مزدا اتباع الدين والبشر صوب أسس أو ثلاثة مبادئ هي: الفكر الصالح والقول الصالح والعمل الصالح، يسعى أهريمن إلى معاكسة هذه الثلاثية، بالفكر الطالح والقول الطالح والعمل الطالح. ويعتقد الزرادشتيون بأن الإنسان غير مجبر على اختيار طريق الشر والظلام، إذ أنه يقف أمام طريقين طريق الخير والنور وطريق الشر والظلام وعليه أن يختار أحدهما، وبالتالي فهو مسؤول عن أفعاله ويحاسب أمام الله، فأما يمنح الثواب أو يواجه العذاب! ويؤمنون بعذاب القبر وأن اختلف أسلوب عذاب القبر في الديانة الزرادشتية عن عذاب القبر في الإسلام مثلاً.

ويرى زرادشت بأن الإنسان يتكون من جسد وروح، ويرى إن الروح نقية وظاهرة، وإن الجسد غير نقي أو غير طاهر لأنه يموت ويتعفن. ومن هنا تأتي الطقوس الخاصة التي يمارسها الزرادشتيون لكيلا تدينس الأرض الطاهرة بأجساد متعفنة. فالزرادشتيون "يكهون" فكرة اختلاط الجسد المادي بعناصر الحياة؛ الماء والتراب والهواء والنار حتى لا يلوثها، لذا فهم يتركون جثامين الموتى للطيور الجارحة على أبراج خاصة تسمى أبراج الصمت أو (دخنه) باللغة الفارسية، حيث يقوم بهذه الطقوس رجال دين معينون، ثم بعد أن تأكل الطيور جثة الميت توضع العظام في فجوة خاصة في هذا البرج دون دفنها.<sup>97</sup>

تستند الديانة الزرادشتية إلى عناصر أربعة تعتبر أساس الحية، وهي عناصر ظاهرة ونقية ومقدسة لا يجوز تدينسها، إنها: النار والماء والهواء والتراب. ولا تختلف الديانات الأخرى عن ذكر هذه العناصر أيضاً، والاختلاف في أنها مقدسة ولكنها غير معبودة، لأن العبادة للإله الواحد. أما في الديانات الأخرى فهذه العناصر غير مقدسة، باعتبارها من خلق الله، والمقدس هو الله وحده. هنا نجد التوافق في الإله الواحد، والاختلاف في العناصر الأربعة من حيث التقديس وعدم التقديس. كما إن هناك اختلافاً آخر هو: في الديانة الزرادشتية نجد إلهاً واحداً بثنائية الإله أهورا مزدا والإله أهريمن، في حين إن الديانات التوحيدية الأخرى تعبد وتقديس إلهاً واحداً أيضاً، وأن إبليس (الشيطان) ليس سوى من مخلوقات الله، وأن كان من نار وليس من نطفة البشر أو الملائكة، كما ورد في القرآن. فقد جاء في سورة الأعراف (مكية) ما يلي: "قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ".<sup>98</sup> والطين هو التراب، ولهذا فإن الطين، أو التراب والنار هما سواسية من حيث الطهارة والنقاوة. وجاء في بحث عن الزرادشتية بشأن أبراج

97 أنظر: الديانة الزرادشتية، موقع آريايي أم، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/21.

98 أنظر: القرآن، سورة الأعراف، مكية، الآية 12.

الصمت ما يلي: "أبراج الصمت هو اسم أطلقه الرحالة الغربيون على الأبنية التي يستعملها الزرادشتيون للتخلص من جثث موتاهم و التي يسموها بلغتهم "دخمه"، وهي بناء دائري الشكل يبنى على جبل صغير أو تلة عالية في موقع بعيد عن المدينة، ويدير المبنى مجموعة من الكهنة ولا يحق لسواهم الدخول اليه، وعندما يموت شخص ما من أتباع الديانة الزرادشتية يؤتى بجثته الى البرج حيث يرفعها الكهنة ويضعوها على سطح المبنى الدائري الشكل و الذي يكون محاطا بسيج مرتفع حتى لا يشاهد الناس الجثث وهي تؤكل وتتحلل، والسطح يتكون في العادة من ثلاث حلقات متداخلة، يوضع الأطفال وصغار السن في الحلقة المركزية من الدائرة اما النساء فتمدد جثتهن في الحلقة الوسطى في حين يوضع الرجال في الحلقة الخارجية، وما ان توضع جثة جديدة على السطح حتى تنقض عليها وتمزقها النسور(3) المتواجدة بكثرة حول سياج البرج لتعودها على تناول لحوم الموتى هناك، وتترك الجثة قرابة السنة لتتحلل أجزائها بشكل كامل ولا يتبقى منها سوى العظام التي يجمعها الكهنة فيما بعد ولا يدفنها وإنما يضعوها في تجاويف خاصة لحفظ العظام موجودة داخل البرج و تحاط هذه التجاويف بالجير الذي يساعد على تحلل العظام خلال عدة سنوات."<sup>99</sup>

تلعب النار دوراً مهماً في الديانة الزرادشتية، باعتبارها ناراً مقدسة ويسعون للاحتفاظ بها مشتعلة، ولاسيما في معابدهم، كما أنهم يتوجهون بصلاتهم صوب الشمس حيث مصدر النور. يمارسون الصلاة في أوقات خمسة، تمام كما يمارسها المسلمون من حيث التوقيت، ولكنهم يمارسونها وقوفاً ويتلون التراتيل الدينية. ويحتفل الزرادشتيون بعيد نوروز في الحادي والعشرين من شهر آذار/مارس من كل عام ولمدة 13 يوماً، ويكون الاحتفال كبيراً في اليوم السادس حيث يعتبر يوم ميلاد زرادشت.

إن التعاليم التي وضعها زرادشت لمتبني دينه في مخطوطات كثيرة ومهمة، جمعت وأحرق الكثير منها في العام 331 ق.م بعد سقوط الدولة الأخمينية وانتصار الإسكندر الكبير بعد أن فرض حكمه على البلاد. جاء في مقال مهم للسيد صبري المقدسي بعنوان " الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية" حول حرق المخطوطات ما يلي: "331 ق.م، انتصار ألكسندر المقدوني على الملك داريوس الثالث، واخضاعه للبلاد الايرانية بعد معركة(اربييل). وإنهائه لحكم السلالة الأخمينية وتدميره للعاصمة (بيرسیبوليس)، التي كانت العاصمة المهمة للإمبراطورية منذ 550 ق.م. وحرق عدد كبير من الكتب المزديّة والزرادشتية المقدسة. والغاء تعاليم (أفيستا) وشرائعها القانونية، ومحاولة فرض الديانة الإغريقية على سكان المنطقة الذين بقوا ملتزمين خفية على دين اجدادهم."<sup>100</sup>

للديانة الزرادشتية كتاب مقدس هو "الأفيستا"، ويطلق عليه أيضاً بـ "الأبستاق"، أي الأصل أو المتن باللغة الفارسية القديمة، ويشتمل على تعاليم الفيلسوف أو النبي زرادشت. وللكرد نسخة من الأفيستا مكتوبة باللغة الميديّة، الكردية القديمة، ويقال بأن تعاليم هذا الكتاب دونت أساساً بهذه اللغة.<sup>101</sup>

99 أنظر: أياد العطار، أبراج الصمت.. تنشر جثث الموتى لتأكلها النسور!، موقع كابوس، أخذ المقتطف بتاريخ 2014/05/21.

100 أنظر: صبري المقدسي، الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية، موقع الحوار المتمدن، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد، 4083، في 2013/05/05،

101 أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، 2015، دون ذكر دار النشر، ص 123.

يعتبر زرادشت فيلسوفاً كبيراً وحكيماً ومبشراً استطاع وضع تعاليم جلبت لها ملايين البشر ودعت إلى إمعان العقل والتمييز بين الخير والشر، بين النور والظلام. كتب الأستاذ زهير كاظم عبود في مقدمة كتابه الموسوم "الزرادشتية" ما يلي: "ترك زرادشت بصماته الواضحة على مجتمع، وعلى حضارة إنسانية، وتبين أنه كان متماسكاً على نشر فضائله وقيمه، غير عابئ بمباهج الدنيا ومغريات السلطة، عاش عفيفاً ومات عفيفاً، وكان اسماً كبيراً في صفحات التاريخ الإنساني. قاد عملية التنوير الإنساني في فترة حالكة، وجاهد من أجل إثبات القيم الخيرة التي تمسك بها، وأسس فلسفة انتشرت على مساحة ليست بالقليلة، وآمنت بها ملايين من البشر ولم تزل حاضرة وقائمة حتى اليوم. زرادشت كان اسماً حاضراً من بين أسماء بناء القيم والفلسفة والحكم ولم يزل."<sup>102</sup> وجاء في كتاب خليل عبد الرحمن الموسوم "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية" عن مضامين هذه الكتاب ما يلي: "أفستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة. إنها موسوعة الحضارة، الثقافة، الأخلاق والأنثروبولوجيا للشعوب الآرية. بل إنها تشهد على عظمة روح وثقافة الشعوب الآرية، حيث تمثل أقدم وثيقة تاريخية، ثقافية، دينية وقانونية مكتوبة تعكس المراسم والطقوس الدينية، الأفكار الفلسفية، الأخلاق، علم الفقه، الشرائع الطب والفلك في المجتمع البدائي الإيراني. أفستا، طفولة الشعوب الآرية: الكردية، الأرمنية، الفارسية، الطاجيكية، الأفغانية... إلخ وهي صفحة مشرقة في تاريخ تطور الأديان والثقافة الإنسانية، وأحد المصادر المكتوبة المبجلة في تاريخ الحضارة البشرية، التي تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين شفاهاً وكتابة فهي غنية بالأساطير الجميلة، مفعمة بحب الخير والكفاح من أجله، والإيمان بنصره على قوى الشر، كما أنها متخمة بالتغني بالصدق والحقيقة، فالحقيقة فيها أفضل الخيرات."<sup>103</sup>

يتوزع كتاب الأبهستاق (أفستا) على واحد وعشرين جزءاً، لم يبق منها سوى خمسة أجزاء هي:

" \* يسنا: يعني نوع من الأناشيد أو التراتيل، وهي عبارة عن ادعية ومعلومات حول الدين وينسب إلى الرسول زرادشت، ويقع في 72 يسناهاً وكل يسنا يشتمل على مجموعة ادعية. \* ويسبر: يضم مجموعة من ملحقات الـ "يسنا" وهي أكثر من 23 كرده. \* ونديداد: يصف هذا الجزء الأشكال المختلفة للأرواح الشريرة، وهي تدور حول الحلال والحرام، الطاهر والنجس، ويتضمن الكثير من القوانين الدينية، ومعها القوانين ضد الإبالسة. \* يشتها: ويعني الأناشيد والتسابيح وكل يشت باسم أحد الاجسام النورانية. \* افيستا: بجوك (خرده افيستا) وهي الصلوات اليومية وتضم تراتيل في بيان عظمة الإله."<sup>104</sup>

يؤمن الزرادشتيون بوجود الملائكة، وهي لا تختلف في أعمالها عن الملائكة التي يؤمن بها المسلمون، ف "هم لا يتناسلون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يمكن رؤيتهم، وتتطابق نظرة الزرادشتية مع الإسلام الذي حل بعدها بزمان طويل حول قضية الملائكة، وهم موكلون بأوامر الله."<sup>105</sup> والكثير من الكتاب يرى بأن الكثير

102 أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 4.

103 أنظر: خليل عبد الرحمن، "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، 2008.

104 أنظر: أبستاق، موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا. 2018/05/21.

105 أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية/ مصدر سابق، ص 86.

من الأفكار والطقوس الدينية في الإسلام مأخوذة من الديانة الزرادشتية، وهي الأقدم من حيث ظهور نبي الزرادشتيين.<sup>106</sup>

## فكرة تناسخ الأرواح

الزرادشتيون يؤمنون بتناسخ الأرواح والتي تعني انتقال الأرواح من أجساد الموتى إلى أجساد أخرى لتعيش حياة ثانية. وهم ليسوا وحدهم من آمن بهذه الرؤية الميتافيزيقية، بل الكثير من الشعوب التي آمنت بالديانات القديمة، ومنها الزرادشتية والإيزيدية والهندوسية. يقول الباحث محمد ياسين: "هناك الكثير من الديانات التوحيدية القديمة و الوثنية تدعن بالتناسخ حتى إنه يعتبر ركنا أساسيا وواحدا من أهم ثوابت الديانة "البوذية" و "الهندوسية"، وجد له قالبا في ما يطلق عليه "السامسارا"، وتعني عجلة الولادة و الموت، ومقتضاها أن الأجسام البشرية لا تكون شيئا، عدا أنها ثوب تلبسه الروح ذاتها في كل ولادة وتخلعه عند كل وفاة، ونفس الأمر بالنسبة لشعوب وديانات كثيرة مثل الطاوية، والمايا، والانكا..."<sup>107</sup>. وهو يشير في الوقت ذاته إلى ما يلي: "أما الديانات الإبراهيمية فإنها ترفض عقيدة التناسخ جملة وتفصيلا، بينما جادلت بعض طوائفها ذات الخلفية الفلسفية و الغنوصية -التي لا تأبه بالعالم المادي و تعطي أولوية للروح- جادلت بمشروعية الفكرة وتهالكت في سبيل الذود عنها، خاصة في التراث الصوفي اليهودي المتمثل في مبدأ "القبالة" أو "الكابلا"، هذا الاتجاه الذي عرف النور فعليا في القرن 12م. وظهر أول مرة كاتجاه مستقل في الجنوب الأوروبي، وبات ما يعرف حاليا: "بالتجديد اليهودي".<sup>108</sup>، كم إن الإسلام بمذاهبه السنية والشيعية تقف موقف المصادم المنافح لمثل هكذا معتقد، بينما تؤمن الطائفة "الدرزية" غاية الإيمان بتناسخ الأرواح، لدرجة أنه يمنع في طقوس الموت عندهم البكاء على الميت أو حتى تأبينه!!"<sup>109</sup>. هناك تباين فيما بين الديانات المؤمنة بتناسخ الأرواح في موضوع انتقال الروح من جسد إلى جسد، فبعضها يعتقد بانتقالها من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر، وبعضها الآخر يعتقد بانتقالها إلى جسد إنسان أو حيوان/ بل وإلى جماد أيضاً. ومن هنا أطلقت على تنوع عملية التناسخ والتقمص بما يلي:

"النسخ: انتقال الروح من {بدن انسان الى بدن انسان آخر}.

الرسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى نبات.

المسخ: انتقال النفس المذكورة من بدن انسان الى الحيوانات.

---

106 أنظر: حامد عبد الصمد، باحث في الإسلام، هل الإسلام مقتبس من الزرادشتية؟ ستصدم عندما تعرف الحقيقة عقائد وشرائع الإسلام مسروقة من الزرادشتية.. معقول!، youtube، بتاريخ 2018/04/11.

107 أنظر: محمد اسين، فكرة عن تناسخ الأرواح وإمكانية التجسد من جديد، موقع أصوات مهاجرة، شؤون ثقافية، 2016/07/08.

108 أنظر: المصدر السابق نفسه.

109 أنظر: المصدر السابق نفسه.

الفسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى الجمادات".<sup>110</sup>

وتعتقد الديانة الزرادشتية بأن "الشخص الصالح ترجع روحه لجنين صالح، أما الفاسد تذهب لشخص فاسد".<sup>111</sup>

أما العلم وأغلب العلماء، ولاسيما الأطباء، فهم يرفضون بوضوح هذه الرؤية المثالية، إذ أن توقف وصول الدم إلى دماغ الإنسان ينهي وجود الحياة في جسمه، إنه الموت ولا حياة بعد الموت.

يشير الكاتب زهير كاظم عبود إلى وجود خطأ شائع وخطأ حاصل لدى شيوخ الدين المسلمين وجمهرة من الباحثين والسياسيين بين الزرادشتية والمجوسية. والمجوسية هي الديانة التي ذكرت بالقرآن، حيث ورد بشأنها "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"<sup>112</sup>. وهي ديانة تختلف عن الزرادشتية وأن كانت قد انطلقت منها واختلفت معها. يشير إلى ذلك الكاتب زهير كاظم عبود في كتابه السابق الذكر حين كتب ما يلي: "هناك من يذكر بأن المجوس هم أعضاء بالوراثة، في طبق كهنوتية في ميديا، وهي مملكة قديمة كانت تقع في المنطقة التي تسمى الآن شمال إيران، ويسمى العضو في هذه الطبقة مجوسياً، اشتهر المجوس بممارسة السحر، وبتفسير البشائر والنذر والأحلام وتقديم القرابين التنجيمية، وهم غير كهنة الزرادشتية".<sup>113</sup> وفي الوقت الذي حرمت الديانة الزرادشتية الصيام، ألزمت المجوسية أتباعها بالصيام لأيام محددة.

وتلتقي الزرادشتية مع الكثير من الديانات، سواء تلك التي يطلق عليها "سماوية" أو التي تسمى "وضعية"، في عدد كثير من المحرمات، وبشكل خاص: الكفر بالله، والقتل والسرقة وشهادة الزور والزنى والغيبة والنميمة وخيانة الأمانة، والسحر وأكلة الميتة والربا والانتحار والإجهاض عمداً، والزواج بالمحرمات،...<sup>114</sup>

#### الزرادشتيون بالعراق

وجد الزرادشتيون منذ القدم بإيران والعراق في فترة حكم الأخمينيين، واعتبرت الدين الرسمي للإمبراطوريات الثلاث: الأخمينية والبارثية والساسانية، ولاسيما في المنطقة الكردية. إذ كانت الديانة الزرادشتية، كما أشير سابقاً قد ولدت في أرومية مع ولادة مؤسسها زرادشت (زارا)، والتي هي جزء من كردستان والتي كانت خاضعة للدولة الساسانية. ويرجع أسم هذه الإمبراطورية إلى الكاهن الزرادشتي ساسان، الذي كان جد أول

110 أنظر: خالد علوكة، تناسخ الأرواح، موقع الحوار المتمدن، محور العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، العدد 3890، في 2912/10/24.

111 أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية/ مصدر سابق، ص 181.

112 أنظر: القرآن، سورة الحج، الآية 17. السورة مدنية، وأربع آيات منها مكية.

113 أنظر: زهير كاظم عبود، الزرادشتية/ مصدر سابق، المدخل، ص 9.

114 أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 197.

ملوك الساسانيين، الملك أردشير الأول (أردشير بن بابك بن ساسان، باعتباره مؤسس الدولة الساسانية (الإمبراطورية الفارسية الثانية).<sup>115</sup>

بدأت "الفتوحات" الإسلامية للسواد في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق، واستكمل في عهد عمر بن الخطاب، وتم للجيش الإسلامي إسقاط الدولة الساسانية بعد حروب دامت عشر سنوات، قتل فيها الكثير من الفرس ممن كانوا يدينون بالزرادشتية. وقد أجبر الناس بعدها على دخول الإسلام أو الهروب من إيران إلى الهند أو دفع الجزية. فترجع وجود الدين الزرادشتي لهذه السبب في عموم المنطقة ومنها المنطقة الكردية، التي هي الأخرى لم يدخل سكانها الإسلام بسهولة بل على حد السيف، فكان القرآن بيد والسيف باليد الأخرى! وهذا ما يؤكد التاريخ حيث وضع السكان أمام ثلاثة احتمالات: إما القبول بالإسلام ديناً لهم وترك دياناتهم القديمة، ومنها الزرادشتية والإيزيدية، أو الهجرة من الأرض المحتلة، التي هي أرض أجدادهم، أو دفع الجزية، حيث اعتبروا من أهل كتاب، كما جاء بشأنهم في القرآن. وهذا ما حصل أخيراً حين اجتاح واحتل عصابات الإسلام السياسي المتطرف، تنظيم داعش الإرهابي والتكفيري الموصل وبقية مناطق محافظة نينوى وتعاملوا مع الناس من غير المسلمين بطريقة مماثلة لما حصل في الفتح الإسلامي، والذي هو في الجوهر نوع من احتلال أراضي شعوب أخرى بالقوة وفرض الهيمنة أو الاستعمار عليها. فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في خطبة للخليفة الثاني عمر بن الخطاب بصدد الفتوحات الإسلامية، كما ورد في كتاب "تاريخ الطبري" ما يلي:

ف "بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستعدة للإسلام وأهله يجوزون لكم يستصفون معاشهم وكدائهم وشرح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعباً فليس لهم معقل يلجؤون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارة إلى مرضاته وذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادى.."<sup>116</sup>

جاء في كتاب وعاظ السلاطين للدكتور علي الوردي عن الأسلوب الذي تمت فيه عمليات الفتح الإسلامي اعتماداً على ما ذكره ابن الأثير في "الكامل" وعباس محمود العقاد في كتابه "أبو الشهداء"، ما يلي:

'يقول المؤرخون أن الجيش الأموي الفاتح عندما دخل المدينة بعد واقعة الحرة أباحها ثلاثة أيام 'فاستعرض أهل المدينة بالسيف جزراً كما يجزر القضاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين

115 أنظر: ساسانيون، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، أخذت المعلومات بتاريخ 2018/05/23.

والأنصار".<sup>117</sup> ثم يواصل قوله: "يروى أن جندياً من جنود ذلك الجيش الفاتح دخل على امرأة نفسها من نساء الأنصار ومعها صبي لها فطلب منها مالا. فقالت له: "... والله ما تركوا لنا شيئاً!" فغضب الجندي وأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض...".<sup>118</sup> ثم يقول علي الوردي: وليس في هذا غرابة. فالفتح هو الفتح في كل زمان ومكان. جرى الفتح الأموي في المدينة فعرفنا خبره. ولكننا لا ندري كيف جرى في بلاد بعيدة، وماذا قاسى الناس هنالك منه. فالجنود الذين يفعلون في مدينة الرسول لا يباليون أن يفعلوا مثله في بلاد الأعاجم أو الكفرة. ولا غرو بعد هذا أن نرى موسى بن النضير يجر وراءه من السبايا ثلاثين ألف عذراء بعد فتح الأندلس. ولا أظن بأن أولئك العذاري وقعن في الأسر طوعاً واختياراً. إن المجاهدين الفاتحين لا بد قد خطفوهن من البيوت بعد أن قتلوا رجالها ونهبوا ما فيها. فليس من المعقول أن يذهب المجاهدون إلى بيوت المدن المفتوحة فيطرقون الباب ويقولون: "أعطونا عذراء في سبيل الله". إن سبي كل فتاة وراءه قصة طويلة من النهب وسفك الدماء وانتهاك الحرمات.<sup>119</sup>

هكذا كان الفتح الإسلامي، وهكذا هو أسلوب كل الفاتحين المستعمرين للبلدان الأخرى، عرفناه لا في نشر الديانة الإسلامية، بل وفي نشر الديانة المسيحية في أوروبا الاستعمارية التي توجهت صوب القارة الأمريكية، ولاسيما الجوبية، وأفريقيا، على سبيل المثال لا الحصر.

#### الزردشتيون بالعراق الحديث

مارست القلة الموجودة من الزردشتيين طقوسهم الدينية بشكل سري في فترة الدولة الملكية العراقية، وكذلك فيما بعد، ولم تكن لديهم معابد رسمية. ولكن لا توجد شواهد على اضطهادهم بالعراق. اعترفت حكومة إقليم كردستان العراق، وكذلك البرلمان الكردي بالديانة الزردشتية وحق أتباعها في ممارسة طقوسهم. فقد جاء في مشروع دستور إقليم كردستان في المادة 65 النص التالي بشأن حرية الأديان:

#### "المادة: 65

لا إكراه في الدين، ولكل فرد حرية الفكر والدين والعقيدة وتتكفل حكومة الإقليم بضمان حرية مواطني كردستان من مسلمين ومسيحيين وإيزيديين وغيرهم لممارسة عباداتهم وشعائهم وطقوسهم واحترام الجوامع والمساجد والكنائس وأماكن العبادة الأخرى وتطويرها.<sup>120</sup> وقد أشار مدير إعلام وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في حكومة إقليم كردستان مريوان نقشبندي، إن قانون الوزارة أعطى حرية ممارسة الشعائر الدينية للجميع، وأضاف: "قانون وزارة الاوقاف يستند الى عدة مبادئ اهمها حرية الاديان والمعتقدات في

<sup>117</sup> أنظر: الدكتور علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان-لندن، 1995، ص 209.

<sup>118</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 209/2010.

<sup>119</sup> أنظر: المصدر السابق نفسه، ص 210.

أنظر: مشروع دستور إقليم كردستان - العراق، المجلس الوطني الكردي، بتاريخ 2006/09/24.

اقليم كردستان، ولهذا فإن أي ديانة، إن كانت في الإطار القانوني، مرحب بها ونساعدها ونقدم لها التسهيلات"<sup>121</sup>.

على وفق المعلومات المتوفرة لم يعلن حتى الآن عن أية ممارسات مناهضة لاتباع هذا الدين بإقليم كردستان العراق، ولهم اليوم معبد بمدينة السلبيمانية. ومن المعروف إن هذا الدين من الأديان التبشيرية، وبالتالي يسعى اتباعه إلى كسب المريدين والمعتنقين له. ويمكن أن تثير هذه المسألة القوى الإسلامية السياسية المتطرفة التي لا ترفض الأديان الأخرى فحسب، بل وترى ضرورة أن يدخل جميع الناس في الإسلام، شاءوا ذلك أم ابوا! وقد برزت اتجاهات متباينة في الموقف من الاعتراف الرسمي بهذا الدين بإقليم، كما ورد في مقال للسيد عبد الجبار العتابي. فهناك من رحب بذلك حين قال:

"باتت الظواهر الفكرية والاجتماعية كثيرة، وبخاصة فيما بعد زلزل التغيير وشعور المواطن انه امام مفهوم جديد، لم يألّفه من قبل". وتابع قوله: "الزردشتية مبدأ اخلاقي وقيمي فاعل، وهو الاقرب الى روح التصوف الاسلامي، والسؤال كيف ولماذا التجأ الشباب الى هذا الدين، ما الذي وجدوه مغايراً عما هو سائد في كردستان وربما العراق كاملاً؟ لا بد من بحث واجابة."<sup>122</sup> وهناك عالم دين مسلم اعتبر "مسألة التحدث في الموضوع نوعاً من الهذيان، قائلاً إن التحدث فيه كفر والحاد، مشدداً على قول الله سبحانه وتعالى (ان الدين عند الله الاسلام)."<sup>123</sup>

أكد لقمان الحاج كريم، رئيس المجلس الأعلى للزردشتية (منظمة زند)، وجود 100 ألف شخص يعتقد هذا الدين بإقليم. كما أكد بأن المنظمة لن تمارس السياسة، بل ستركز في عملها على الجانب الديني فقط.<sup>124</sup> ومع ذلك يمكن أن يصطدم هذا التوجه بالقوى الإسلامية السياسية بإقليم أو بالعراق عموماً، كما هو الحال في الموقف من اتباع الديانات الأخرى التي تتعرض إلى الكثير من المصاعب والمتاعب والتهديدات والتشريد والتهمير والقتل بالعراق والتي تقف وراءها الميليشيات الطائفية المسلحة وقوى الإرهاب التكفيرية، شيعي وسنية، كما تطرقنا إليها في الصفحات السابقة. إن من واجب المسلمين والمسلمات أن يفكروا بثلاث مسائل هي:

---

121 أنظر: عبد الجبار العتابي من بغداد، جدل في العراق حول تأسيس مجلس الديانة الزردشتية، إيلاف، 2015/05/06.

122 أنظر: المصدر السابق نفسه.

123 أنظر: المصدر السابق نفسه.

124 أنظر: الزردشتية تعود إلى كردستان بسبب التطرف الديني، موقع السومرية نيوز، بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2015.

1. الأهمية القصوى لضمان حرية العقيدة واعتناق الدين الذي يراه الفرد مناسباً له، أو لا يعتقد بأي دين أو مذهب. فهذا الموثق يشكل جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان التي لا يجوز المساس بها بأي حال.
2. لماذا تتخلى جمهرة من الشبيبة من أتباع الدين الإسلامي عن دين الإسلام والتحول صوب إلى الإلحاد، كما تشير إلى ذلك أخبار العراق، أو ما يطرحه بعض الوعاظ المتشددون في مجالسهم الدينية، في الفترة الأخيرة، والتي بدأت جمهرة من شيوخ الدين المتخلفين تثير الضجة حول هذا الموضوع ولا يسألون أنفسهم، لماذا يتحول هؤلاء الشباب، إن صح ذلك، إلى ملحدون؟
3. إن من حق الإنسان أن يتحول من دين إلى دين آخر، ولا يجوز المساس بهذا الحق بأي حال، ولا يجوز استخدام العنف في كسب أو فرض الدين الإسلامي على الناس، أو من جانب أي دين آخر، ولا يجوز ممارسة التشريد والقتل والسبي والاعتصاب، كما حصل بالعراق من جانب قوى الإسلام السياسي المتعصبة والمتطرفة والإرهابية منذ العام 2003 حتى الوقت الحاضر لفرض الدين الإسلامي على الناس.

## الفصل الثامن

### العراقيون البهائيون

ديانة حديثة ظهرت بإيران في القرن التاسع عشر وعلى يد المبشر الأول بقيام هذا الدين التاجر الشاب علي محمد الشيرازي الملقب بـ "الباب" (1819 - 1850م)، الذي أشار بوقت مبكر إلى من التزم بهذا الدين الجديد والذي سيأخذ على عاتقه نشر الدين والدعوة له وإعلاء شأنه، إنه الشيخ ميرزا علي حسين النوري والملقب بـ "بهاء الله" (1817 - 1892م)، المولود بمدينة نور بطهران/إيران. عانى هذا الرجل قرابة أربعين عاماً من الملاحقة والنفي إلى الدولة العثمانية، ثم الاعتقال والسجن، ثم الموت في السجن. عاش عشر سنوات من عمره ببغداد، كما استقر لمدة سنتين بالسليمانية. وقبل مغادرته بغداد أعلن "حضرة بهاء الله" في نيسان من عام ١٨٦٣ أنه مبعوث من الله، وأن هدف رسالته هو تحقيق الوحدة والاتحاد بين بني البشر. ومنذ ذلك الحين ارتبط البهائيون العراقيون بروابط الالفة والصدقة مع باقي مكونات المجتمع العراقي.

أوصى حضرة بهاء الله قبل موته بخلافة أبنه عباس أفندي له، والذي لُقّب بـ "عبد البهاء" (1844 - 1921م)، المولود بطهران إيران. ولكن اختلف عباس أفندي مع أخيه غير الشقيق محمد علي. وبالتالي أصبح للبهائية طائفتان. أطلق على الأولى بالعباسيين تيمناً بعباس أفندي وعلى الثانية بالموحدين. ويبدو إن الثانية لم تعد كبيرة بعد أن مورس ضدها الطرد والمنع من الوصول إلى مرقد بهاء الله في حيفا. مارس عبد البهاء التجوال في العالم للتبشير بدينه وكتابة الرسائل وما يسهم في توسيع دائرة المعتنقين له. وقبل أن يتوفى أوصى بخلافة أكبر أحفاده المدعو شوقي أفندي (1897 - 1957م) له في قيادة أتباع الدين. وبعد وفاته اقيم المجلس الذي أطلق عليه "بيت العدل الأعظم" في العام 1963 على وفق ما ورد في كتاب الشريعة البهائية، الكتاب (الأقدس)، البيت الذي يشرف ويدير شؤون أتباع الدين البهائي. رفضت مجموعة من البهائيين الاعتراف ببيت العدل الأعظم واعتبروا البهائي الأمريكي الولادة تشارلز ميسون ريمي Charles Mason Remey (1874-1974م) ولي أمر البهائيين. وقد أطلق على هذه المجموعة اسم البهائيون الأرثوذكس ولها مريدون في بعض المدن الأمريكية.

يشير موقع الموسوعة الحرة إلى أن عدد معتنقي الديانة البهائية بالعالم وصل في العام 2012 بحدود 7,8 مليون نسمة من مجموع سكان العالم البالغ في نفس العام أكثر من 7 مليار نسمة.

يؤمن أتباع هذا الدين الحديث بالإله الواحد، وهم بهذا توحيديون. كما يدعون إلى دين واحد، على اعتبار أن كل الأديان جاءت من مصدر واحد هو الخالق، وأن لها رسالة واحدة، وأن الناس أخوة في الإنسانية وهم متساوون. ولهم كتاب مقدس يطلق عليه بـ "الأقدس"، كما لديهم كتب عرفانية كثيرة أخرى منها كتاب "الإيقان".

برز عداة شيوخ الدين المسلمين لهذا الدين واتباعه، ولاسيما شيوخ الدين الإيرانيين حيث ظهر في إيران دعاة هذا الدين لأول مرة، لسبب أساسي هو قولهم بمجيء نبي بعد النبي محمد، في حين أن المسلمين يعتقدون بأن النبي محمد هو آخر الأنبياء والمرسلين، وبالتالي فهي ضد الرؤية الإسلامية بشأن النبوة. ولهذا حوربوا بإيران وبتركيا في حينها، كما هم محاربون بالعراق واليمن ومناطق أخرى من العالم العربي.

#### وضع البهائيين بالعراق

في الوقت الذي عانى البهائيون من اضطهاد السلطات الإيرانية، اعترفت سلطات الاحتلال البريطاني بالعراق بالدين البهائي وفق كتاب (بيان المحاكم رقم 6 في 1917/12/28). ويعتبر هذا الكتاب أول اعتراف رسمي للبهائيين قبل تشكيل الدولة العراقية الملكية. وواصلت الحكومة العراقية الملكية الاعتراف بهذا الدين وأتباعه، لهذا كانت عقود زواج البهائيين تصدر عن محاكم الأمور الشخصية لغير المسلمين. كما تم تثبيت البهائية في السجل الأساسي لإحصاء 1957 كواحدة من العقائد الدينية المثبتة في استمارة التعداد والسجل الأساسي، وكان البهائيون يثبتون في حقل الديانة (بهائي) للوثائق الرسمية. وكان لهم مركز ومقبرة كما كان للمحفل الروحاني المركزي للبهائيين في العراق (المؤسسة الروحانية على المستوى الوطني) مساهمات على الصعيد المجتمعي. وخلال تلك الفترة تم تشكيل العديد من المؤسسات المحلية في مختلف مدن العراق كالسليمانية وكركوك والموصل وخانقين ومختلف مناطق بغداد إضافة الى مناطق محافظة ديالى والنجف وكربلاء والبصرة وغيرها.

وبسبب خصوصية الدين البهائي يتمتع معتنقو هذا الدين عن التدخل في الاعمال السياسية والحزبية اضافة الى وجوب احترام وتقدير واطاعة السلطات الحاكمة في اي دولة يعيشون فيها فان تعاقب السلطات الحاكمة لم يؤثر على تعايش البهائيين مع ابناء وطنهم او على علاقة البهائيين بالدولة" كما جاء في وثيقة مكتوبة أرسلها لي أحد المعتنقين لهذا الدين. لم يجر أي تغيير في أوضاع البهائيين في فترة الحكم الجمهوري الأول بعد ثورة تموز 1958. ولكن أول الإجراءات المناهضة للبهائيين برزت في أواسط الستينيات من القرن العشرين، إذ تم وضع اليد على مبنى (حضيرة القدس) المركز البهائي في بغداد عام 1965. وفي العام 1970 ارتكب انتهاك صريح ضد حقوق البهائيين بصدور قانون 105/ 1970 حرم بموجبه النشاط البهائي وتم حل مؤسساتهم ومصادرة الكتب والأموال والممتلكات. وما يزال يعاني البهائيون من أثار وعواقب هذا القانون، ومع صدور هذا القانون جرى في العام 1974 الحكم على عشرات البهائيين بالعراق بالحبس لمدد تتراوح بين عشر سنوات والمؤبد. وبتاريخ 1975/07/24 صدر القرار المجحف رقم 358 بحق البهائيين من مديرية الأحوال المدنية الذي تضمن تجريد قيود البهائيين في سجلات الأحوال المدنية، واعطاء الدائرة صلاحية استبدال حقل الديانة، مما أدى الى سلب الحقوق المدنية والقانونية مثل الحصول على هويات الأحوال المدنية وبقية الوثائق الثبوتية وتسجيل بيانات الولادات وتسجيل الزيجات وغيرها، ما لم يُنْتَب في حقل الديانة مسلم. كما تم تغيير الكثير من قيود البهائيين في دوائر الأحوال المدنية. وبالرغم من كل هذه التقييدات للحرية الا ان العلاقة التي تربط البهائيين بجيرانهم واصدقائهم استمرت بكونها علاقة منفتحة مبنية على الاحترام والتقدير من الجميع.

وقد وصلتني وثيقة من أخ من دعاة الدين البهائي أشار فيها إلى ما يلي:

"بعد عام 2003، تم إلغاء سريان القوانين الجائرة ومنها قانون 105 لسنة 1970، والذي لا ينسجم مع الشريعة الدولية ولا مع دستور العراق الجديد، الذي يضمن معاملة متساوية لجميع العراقيين في جميع النواحي ومنها الدين، فأعاد البهائيون تشكيل مؤسساتهم الروحانية التي تقوم بإدارة ورعاية شؤون البهائيين في العراق في اندماجهم وخدمتهم لمجتمعهم. ومنذ ذلك الحين والبهائيون يمارسون نشاطاتهم المعنية بالاهتمام بتربية الاطفال وإطلاق طاقات الشباب بكل حرية يشاركون فيها أبناء وطنهم من المكونات الاخرى. كما اعادت هيئة نزاعات الملكية بعض الاملاك البهائية المصادرة بقرار محكمة الثورة المنحل. كما ألغى وزير الداخلية قرار مديرية الاحوال المدنية 358 بتاريخ 1975/7/24 الذي تم بموجبه تجميد قيود البهائيين واستبدال حقل الديانة من بهائي الى مسلم، بصدر كتاب وزارة الداخلية 5441 في 2007/3/19 والذي تم تعميمه على كل دوائر الاحوال المدنية بموجب كتاب المديرية العامة للسفر والجنسية المرقم 5708 في 2007/04/04، وعلى إثر هذا القرار تم عملياً رفع التجميد عن القيود، وصدرت لعدد من البهائيين هويات مثبت فيها حقل الديانة (بهائي).

لقد تم الاعتراف الرسمي بإقليم كردستان العراق بـ "المجلس البهائي لإقليم كردستان العراق" بموجب الأمر الوزاري الصادر عن وزير الداخلية بالإقليم المرقم 5292 والمؤرخ في 26 / 2 / 2012، حيث تم تثبيت ممثل رسمي للبهائيين في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بالإقليم بموجب الامر الوزاري المرقم 180 والمؤرخ 2015/10/11، اسوة بباقي الاديان من غير المسلمين. وشارك البهائيون رسمياً بمناقشات حراك دستور الإقليم ومشاريع صياغة وتعديل القوانين ذات العلاقة، ومنها قانون 5 لسنة 2015 لحماية حقوق مكونات كردستان، حيث لا زال البهائيون ومع العديد من الجهات المهتمة يحاولون إضافة اسم البهائيين ضمن مكونات الإقليم في القانون.

أما ببغداد، ورغم عدم وجود اضطهاد مباشر للبهائيين، فلا زال معتنقو هذا الدين يناضلون من أجل إلغاء القانون رقم 105 لسنة 1970، إضافة إلى إلغاء الكتاب الذي صدر عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي بتاريخ 2007/07/26 وبرقم 1215 الذي تضمن منع دوائر الأحوال المدنية عن تثبيت (بهائي) في حقل الديانة في هوية الأحوال المدنية وتسجيله مسلم. وهو تراجع صارخ في فترة رئيس الوزراء السابق وبتأثير مباشر من الحوزة الدينية بقم/إيران، وهو إجراء مناقض للدستور العراقي. كما خلت الدراسة التي أعدتها دائرة الرصد والأداء وحماية حقوق الإنسان في وزارة حقوق الإنسان بالعراق تحت عنوان "أطياف العراق مصدر الثراء الوطني" في العام 2011 عن ذكر البهائيين ضمن هذه الأطياف. وهذا الموقف يتناغم مع القرار الصادر عن مجلس الوزراء بعدم تثبيت في حقل الدين (بهائي) للمواطنين والبهائيين. وتناغماً مع هذا الاتجاه المناهض للبهائيين تم هدم دار تاريخي للبهائيين بقرار من الإدارة المحلية ببغداد، تحت ذريعة كونه داراً قديمة آيلة إلى السقوط. وقد قُدمت اعتراضات واحتجاجات ضد الهدم، ولكنها لم تنفع. كما وجهت هيئة الدفاع عن اتباع الديانات والمذاهب في العراق رسالة إلى مديرية الآثار بالعراق طالبة منها الحفاظ على هذا الأثر التاريخي لاتباع الديانة البهائية، ولكن كلها لم تجد نفعاً مع القوى الإسلامية السياسية الحاكمة والمتنفذة.



## الفصل التاسع

### العراقيون اليارسانيون (الكاكائيون)

اليارسانيون جماعة كردية تعتنق الديانة اليارسانية التي هي واحدة من الديانات القديمة التي ظهرت في إيران والعراق في فترة وجود الديانة البارثية القديمة والزرفانية والإيزيدية والزرادشتية. وهي ديانة باطنية. ويطلق على هذه الجماعة الدينية باليارسانية عموماً، وبالعراق بالكاكائية، بسبب روح التضامن التكافل بين أفرادها دفاعاً عن وجودهم المشترك وانطلاقاً من المبادئ والقيم والأخوة التي يؤمنون بها. ورغم إن هذا الدين غير تبشيري ولا يسعى أتباعه إلى كسب أتباع الديانات القديمة إلى دينهم، إلا إنهم تعرضوا إلى الصراعات أيضاً بفعل مساعي أتباع الديانات الأخرى لكسب أتباع منهم لهم. كتب الأستاذ رجب كاكائي في رسالة خاصة ملاحظات حول الدين اليارساني جاء فيها بهذا الصدد ما يلي: الديانة اليارسانية ليست تبشيرية بمعنى التبشير عند المسيحيين أو دعوية عند المسلمين، لأنها تعد الأديان الأخرى رسائل إلهية، وهي كلها تأتي من سراج واحد. وكل إنسان صالح يدخل ملكوت الله يسمى (يار). وهذا الشيء يقود إلى الاعتقاد عند البعض بأن هذه الديانة تأثرت بالديانات الأخرى. "ومن هنا يمكن معرفة أسباب تعرض اليارسانيين إلى الاضطهاد من قبل الدولة الفارسية التي اتخذت من الدين الزرادشتي ديناً رسمياً لها ومارست الحكم والاضطهاد ضد المسيحيين الجدد حينذاك أيضاً، ولاسيما في صراع الدولة الفارسية ضد الدولة الرومانية، حين تبنت الدولة الرومانية الدين المسيحي.

لم يبق هذا الدين، الذي تميز أتباعه وكبار المسؤولين فيه بالسرية في ممارسة الكثير من طقوس الدين، أو عدم الإعلان الصريح عن المكونات الفكرية أو الفلسفية لدينهم، كما كان عليه في بداية ظهوره قبل آلاف السنين، بل تعرض إلى التلاقح مع ديانات أخرى مثل المسيحية والإسلام لثلاثة أسباب مهمة:

- 1) بسبب الخشية من الاضطهاد ورغبة الحفاظ على وجودهم كدين وكمجموعة بشرية متماسكة ومتكافلة فيما بينها؛
- 2) بسبب الوجود المكاني والسكن مع أتباع ديانات ومذاهب كثيرة أخرى على مدى التاريخ الطويل لهذا الدين والتأثر بالرموز البارزة في الديانات الأخرى.
- 3) التحولات الحضارية والثقافية التي كانت تترك أثرها الواضح على حياة وسلوك اليارسانيين.

وخلال القرون والعقود المنصرمة تراجع مصطلح اليارسانية بالعراق لصالح مصطلح الكاكائية، ولاسيما في الفترة التي ظهر فيها السلطان إسحاق، الذي أدخل بعض المظاهر الإسلامية على الجماعة اليارسانية، وبالتالي عرفت به الكاكائية حتى الآن، في حين حافظ أتباع هذا الدين الآخرين بإيران أو أماكن أخرى باسم الدين الأول يارسان. إلا إن ظاهرة جديدة برزت تفرض نفسها في واقع حياة اليارسانيين بإقليم كردستان العراق وحيثما وجدوا بالعراق، هي العودة إلى الأصول الدينية وإلى أصل اسم دينهم، وقد نجم عن العوامل التالية:

1. إعلان الكثير من المكونات الدينية الموجود بالعراق عن طبيعة دياناتها والعودة إلى تسمياتها الأصلية.

2. الاضطهاد الذي تعرضت له جميع المكونات الدينية ذات الأقلية السكانية من قبل قوى الإسلام السياسي ومن التنظيمات الإرهابية المسلحة. "يقول الأستاذ الجامعي لقمان رشيد الكاكائي لموقع (أرفع صوتك) "تعتبر الكاكائية أو اليارسانية من أقدم الديانات الكردية في منطقة الشرق الأوسط، لكن ومع الأسف نحن وقبل تشكيل الدولة العراقية وحتى الآن نتعرض لإبادة ايديولوجية وبصورة مستمرة مبرمجة وممنهجة وليس من قبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش فقط." <sup>125</sup> الخشية من اعتبارهم نحلة مرتدة عن الإسلام، في حين إن دينها لا يمت إلى الإسلام بصلة من حيث الجوهر، ولا يغير من هذا الأمر تبجيلهم لشخصية علي بن أبي طالب باعتبارها واحداً من الشخصيات الشجاعة والزاهدة، إضافة إلى شخصية الحلاج، إذ إن في دينهم ما يدفع على التصوف وإقامة التكايات، ولا علاقة لهم بالمساجد أو بنائها. ويشير الأستاذ رجب كاكائي إلى تبجيلهم لشخصيات كبيرة مثل الأمام علي بن أبي طالب أو الحلاج، بقوله: "إن التأثير برموز الديانات الأخرى نابع من مسالة تجسد الأرواح وانتقالاتها".

يؤكد السيد أمين متين بصدد اتهامهم بالارتداد عن الإسلام بصواب ما يلي: "أعتقد أنها ستستمر في المستقبل أيضاً. نحن حكم علينا بأننا (مرتدون) والجميع يعلم ما حكم المرتد في الدين الإسلامي. ومع الأسف هذه السياسة موجودة في فكر المجتمع العراقي والكردستاني. ولحد الآن نحن نلتمس ونشعر أن هذه السياسة التعسفية لا تزال موجودة." <sup>126</sup>

لقد تعرض اليارسانيون، (الكاكائيون)، إلى الاضطهاد طوال تاريخهم في علاقتهم مع المسلمين، بسبب إما اتهامهم بالارتداد عن الإسلام لأنهم جماعة مسلمة مرتدة، أو اتهام أعداء لهم بكونهم علي اللهية للنيل منهم، وبالتالي فهم شيعة روافض بالنسبة لأتباع المذهب السني، وهما أبرياء من التهمتين، رغم تبجيلهم لعلي ابن أبي طالب، وهو الذي عبر عن شجاعته ودفاعه عن المسلمين بأن "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي" وإيمانهم بتناسخ الأرواح. <sup>127</sup>

لقد تعرض دين اليارسانيون إلى التشويه والتحريف، إضافة إلى تفسيرات كثيرة حول طبيعة الديانة، وهي بريئة مما لحق بها من اتهامات، ولكن فأن الدعاية المضادة لهم تؤثر في المحصلة النهائية وتزيد من الشكوك غير المبررة بهم ومن ثم الإساءة لأتباع هذا الدين. وقد كتب الدكتور رشيد الخيون في كتابه عن "الأديان والمذاهب بالعراق" بعد لقاء له مع الشخصية اليارساني فلك الدين الكاكائي ما يلي:

---

125 أنظر: راجع: أمين متين، الكاكائيون: ماذا بعد تهجير الأقليات؟ نتظاهر أننا مسلمون ونريد إلغاء الديانة من الهوية، موقع ارفع صوتك، (2015/10/13).

126 أنظر: أمين متين، المصدر السابق نفسه.

127 أنظر: د. رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، الجزء الثالث، الكاكائيي مصدر سابق.

"أكد لي المثقف المعروف، وزير الثقافة بإقليم كردستان-العراق، فلك الدين كاكائي، (ت 2013) أن للتصوف أثره المباشر على وجود الكاكائية، وأن خارطة الأديان والمذاهب بالمنطقة الكردية لا تخرج عن إطار الطرق الصوفية، فالشبكة كانوا بكتاشية، ثم تحول منهم قسم كبير إلى السنة، وقسم آخر إلى الشيعة، وهناك تشابك بينهم في المفاهيم. وحتى استخدام الآلة الموسيقية (الطنبور) هي واحدة لدى الكاكائية، والشبك، والإيزيدية، واستخدامها يأتي تحت التأثير الصوفي؛ وللكاكائية عدة أسماء منها: الصارلية،<sup>128</sup> والكاكائية، وأهل الحق. عدا ذلك أنهم يقولون عن أنفسهم (علي إلهية)، بل الآخرون يطلقون عليهم هذا الاسم. إلا إن الحقيقة هم لا هذا ولا ذاك، وأن اسمهم الحقيقي جاء مفردة كردية قديمة جداً هي (يارسان)، ويار القديمة تعني الله، وتعني أيضاً المعشوق، فتكون "الله وحده المعشوق".<sup>129</sup> (اليارساينيون جماعة دينية موحدة وغالبيتهم كرد، كما يمكن أن يؤمن بهذا الدين من غير الكرد. وهذا المصطلح يتكون من كلمتين هما يار تعني الله، وسان تعني القائد أو الكبير، وكلاهما يعني الله العظيم، الله وحدة المعشوق. والتوحيد برز في الديانات القديمة أيضاً، وبجواره ظهر تعدد الآلهة في حضارات سومر وأكد وآشور وكلدان، والحضارة البابلية عموماً.

الكتاب الديني لليارساينيين هو سرانجام أو سنچنار، أو "كتاب الخزانة" والمكتوب حالياً باللغة الكردية باللهجة السورانية، ويتضمن تعاليم الدين الأساسية، وكان تناوله بين كهنة الدين فقط. ويشار إلى أنهم يعملون على وفق أربع قواعد هي: "الطهارة، الصدق، الفناء، والعفو.

1- الطهارة: حيث على كل واحد منهم أن يكون طاهراً، أي نظيفاً في الظاهر والباطن، ويجاهد النفس بجعلها نظيفة، سواء في الجسم، أو الروح، اللباس، الفكر، أو العمل.

2- الصدق: أي السبيل الصحيح، والقيام بما امرنا الله به.

3- الفناء (في الله): بمعنى الابتعاد كلياً عن التكبر والغرور والأنانية وهوى النفس، والردائل الأخلاقية، لكي يتم التسامي إلى الحق تعالى.

4- العفو: أي المغفرة، والإحسان، حيث يجب على كل إنسان مد يد العون والمساعدة للمحتاجين، لكي يكسب رضى الله ومحبته". (راجع: الكاكائية من فرق العراق، موقع الراصد، 2006/05/14).

يؤمنون بتناسخ الأرواح ويحترمون يوم الاثنين ويوم الجمعة ولهم أديعتهم التي يتلونونها في هذين اليومين، كما أنهم يحرمون الخمر والزواج بأكثر من امرأة واحدة، ويتم الزواج برضى الطرفين. وفي حالة الوفاة أو سبب معقول يمكن الزواج بامرأة ثانية، وألاً يتزوج الشيخ ابنة مريده، ولا يتزوج المريد ابنة شيخه. أما الرجال فلا يجوز لهم حلق شواربهم، تيمناً بما كان يمارسه الشخصية الإسلامية المبجلة لديهم علي بن أبي طالب.

<sup>128</sup> كتب لي الأخ الأستاذ رجب كاكائي بهذا الصدد ما يلي: "الصارلية ليست تسمية دينية بل عشائرية مناطقية، واعتقد إنها المقصود بالسكان الذين نزحوا من قلعة سارلو في إيران بعد أن هاجمهم الاتراك البيات فتركوها ونزحوا إلى العراق واستقر البعض منهم على جانبي نهر الزاب الكبير إلى الشمال من الكوير". ك. حبيب

<sup>129</sup> د. رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق/ مصدر سابق، ص 95.

لقد عانى الكاكائيون منذ تأسيس الدولة العراقي من تهميش متعمد، فاسم دينهم لم يذكر في الدستور العراقي الأول إلى جانب الديانات الأخرى، كما أغفلتهم جميع الدساتير اللاحقة، إضافة إلى إنهم باستمرار معرضون لاعتبارهم مسلمين مرتدين، في حين إن دينهم لا صلة له بالإسلام من قريب أو بعيد، وهم يؤكدون على ذلك بشكل واضح، فيما عدا ما يجمع الديانات كلها، سواء ما يطلق عليه بالسماوية أم الديانات الوضعية من أساس واحد.

## الفصل العاشر

### الاستنتاجات والمعالجات

#### أولاً: الاستنتاجات

يشير الاستعراض التحليلي لأوضاع أتباع المكونات الدينية والمذهبية العراقية إلى واقع علاقات شديدة الاختلال مع النظم الحاكمة التي تبنت الإسلام ديناً لها وادعت أنه دين الدولة، في حين ليس للدولة دين أو مذهب، فهي شخصية معنوية، على امتداد تاريخ العراق، ومنه التاريخ الحديث والمعاصر، فيما عدا فترات قليلة جداً. إن هذه الظاهرة السلبية، المنافية للعلاقات الإنسانية المنشودة والمناهضة للائحة حقوق الإنسان الدولية وكل اللوائح والمواثيق الدولية بأجيالها الثلاثة، إزاء اتباع القوميات وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى من جانب النظم الحاكمة والحكام المسلمين وبعض الجهات الإسلامية السياسية بالعراق، أصبحت منذ سقوط النظام البعثي الصدامي، سائدة بالعراق وأدت إلى وقوع جرائم بشعة كلفت حياة مئات الآلاف من البشر وما تزال تهدر حياة المزيد من الناس وتفرض الهجرة على المزيد من العراقيات والعراقيين من أتباع الأديان والمذاهب الأخرى بشكل خاص، وكذلك من الشيعة والسنة المسلمين. فأين تكمن أسباب هذه الظواهر؟

توصلت الدراسة عبر المتابعة والنقاشات مع أتباع الديانات والمذاهب إلى إن الأسباب وراء ذلك تكمن في العوامل الأساسية التالية:

أولاً: إن الدين الإسلامي، وأن اعترف بالديانات الكتابية أو الإبراهيمية، إضافة إلى المندائية والمجوسية (الزرادشتية)، فإنه في المحصلة النهائية رفض كل الديانات الأخرى واعتبر الإسلام هو دين الجميع، ومن لا يؤمن به فهو خارج عن الإسلام أو كافر. والدليل ورد في القرآن ذاته وفي الشرائع الإسلامية المتعددة. ومع إن البشر المسلم ليس كله قد تعامل مع أتباع الديانات الأخرى بهذا المنطق، إلا إن خلفية التفكير الديني تبقى كذلك، وهو أمر بالغ الضرر في علاقات المسلمين والمسلمات مع أتباع الديانات الأخرى. لم يكن موقف أكثر الديانات أتساعاً يختلف عن موقف الإسلام منها، ولكن الديانات الأخرى قد شهدت التنوير الديني والاجتماعي وتخلت أتباعها عن الادعاء بذلك وأكدوا على حرية الإيمان بأي من الديانات الموجودة على أرض الواقع الدولي. والقوى المتطرفة من أتباع الدين الإسلامي يكفرون صراحة أتباع بقية الديانات ويعملون بكل السبل المتاحة على فرض الإسلام عليهم أو فرض الجزية عليهم. أما من لا يعتبر من أهل كتاب فهم إما أن يدخلوا الإسلام أو أن يقتلوا. ولا بد من الإشارة إلى إن كل الأديان الإبراهيمية تؤمن بوجود الجنة والنار، الجنة للمؤمنين المطيعين، والنار للمذنبين وغير المطيعين أو المخالفين. وعبر هذه الجزرة والعصا يسعى الكهنة وشيوخ الدين فرض الطاعة التامة والسيطرة على الأتباع، والتبشير بدينهم دون غيرهم من الديانات.

ثانياً: إن الدساتير التي وضعت بالعراق منذ العام 1925 ومروراً بالدستور المؤقت لعام 1958 وبقية الدساتير المؤقتة، ثم الدستور الأخير لعام 2005 كرست رؤية خاطئة تشير إلى أن الإسلام دين الدولة.

ومن هنا بدأ التمييز والتهميش والإقصاء أو محاولة فرض دين الأكثرية وغيرها إزاء أتباع الديانات الأخرى بالدولة العراقية التي تأسست في العام 1921، وخطأ هذه الرؤية يكمن في حقيقة أن الدولة لا دين لها، فهي شخصية معنوية لا غير. وبالتالي أسست قاعدة خطيرة وغير صائبة ومؤذية لأتباع بقية الديانات.

ثالثاً: إن النظم السياسية التي أقيمت على أرض العراق قد مارست، وما تزال تمارس، سياسات تمييز وتهميش وإقصاء إزاء أتباع الديانات الأخرى، رغم إنها لم تعامل المسلمين والمسلمات بنهج ديمقراطي أيضاً، ولكن معاناة أتباع الديانات الأخرى كانت أكبر ومضاعفة. وهذه المسألة مرتبطة بدورها بطبيعة علاقات الإنتاج التي سادت بالعراق وما تزال هي الفاعلة والمنتجة لهذه النظم السياسية والاجتماعية المختلفة والمريضة. فهي نظم تنتكر للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق القوميات وحقوق أتباع الديانات والمذاهب في تعاملها الفعلي، رغم مصادقتها على الكثير من اللوائح الصادرة عن الأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.

رابعاً: ساهمت المؤسسات الدينية الإسلامية، السنية منها والشيعة، بدور سلبي كبير في اختلال شديد للعلاقة الإنسانية الضرورية بين المسلمات والمسلمين مع أتباع الديانات الأخرى. ويجد ذلك تعبيره في الشرائع التي وضعها المشرعون والفقهاء المسلمون، وفي أسس التربية الدينية، سواء المنزلية منها أو المدرسية، وفي الكتب الدراسية وكتب الدين والمذاهب المنتشرة في أسواق العراق ومكتباته. وهي تربية لا تحض على العقلانية والمساواة والتفاعل والاعتراف بالآخر والتسامح في الرؤى الفكرية المتباينة، بل كلها كانت وما تزال تدعو إلى التمييز وإبراز الاختلاف وتكفير الآخر. وهي ثقافة رجعية مؤذية وممزقة لوحدة الشعب ونسيجه الوطني، لا تصدر عن المؤسسات الدينية العراقية فحسب، بل وعن مؤسسات وحوزات دينية بالدول العربية والدولة الإيرانية. إنها رؤية ذات مضمون عنصري ينطلق من قاعدة "أنا" و"آخر"، أنا الجيد والآخر سيء، ديني جيد ودين الآخر سيء،، إنها رؤية تنشئ أرضية صالحة للصراع والنزاع وسيول من الدماء.

خامساً: نتيجة كل ذلك تعرض أتباع الديانات والمذاهب بالعراق إلى حملات اضطهاد وقمع وتشريد وتهجير أو قتل وسبي واغتصاب واختطاف وابتزاز ونهب وسلب في فترات مختلفة من تاريخ العراق المديد وفي العراق المعاصر. كان آخرها وأكثرها قسوة وعنفاً وإيلاماً تلك التي حصلت في أعقاب سقوط الدكتاتورية عام 2003 وإقامة النظام السياسي الطائفي بالعراق في ظل الاحتلال الأمريكي، ومن ثم تحت تأثير التدخل الإيراني في الشأن العراقي وتدخل دول الجوار الأخرى. وكانت الكوارث شديدة ابتداء من صراع المليشيات الطائفية المسلحة وقتلها البشر على أساس الهوية الدينية والمذهبية، ولاسيما ضد أتباع الديانات الأخرى، ومن ثم الصراع بين الجماعات المسلحة الشيعية والسنية، ثم اجتياح الموصل من عصابات داعش واحتلالها نينوى ومحافظات غرب العراق وما حصل فيها من إبادة جماعية وضد الإنسانية.

سادساً: كما إن الحكومات العراقية المتعاقبة منذ العام 1963 حتى الوقت الحاضر، لم تمارس، ولاسيما منذ الإطاحة بحكم البعث الشوفيني، أي سياسات أو إجراءات فعلية وعملية مسؤولة لحماية أتباع الديانات والمذاهب الأخرى بالعراق، بل تشير الكثير من الدلائل إلى إنها انخرطت في عمليات الدفع باتجاه استخدام

الضغط والاضطهاد والتهمير الفعلي القسري لأتباع الديانات الأخرى، مما يؤكد وجود خطة غير مععلن عنها، ولكنها قائمة، تعمل على تهجير أكبر عدد ممكن من أتباع الديانات الأخرى والسعي للخلاص من وجودهم بالعراق أصلاً، وهو الخطر الذي يفترض تشخيصه لمواجهته والعمل على إفشاله محلياً إقليمياً وعلى مستوى السياسة الدولية. ولا بد من الإشارة هنا إلى إن هذا الموقف المناهض لأتباع الديانات الأخرى يحمل في جهره موقفاً مناهضاً للمذاهب الأخرى في الدين الإسلامي، أي موقف الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية منها والسنية ضد بعضها الآخر والتي يسعى كل منها الخلاص من الثاني بالسبل المتوفرة لديه وبدعم من دول الجوار. وهي وجهة تدميرية للشعب بكل مكوناته القومية والدينية والمذهبية وللبلد في آن واحد.

سابعاً: لقد كانت حصيلة ذلك الهجرة الجماعية لمئات الآلاف من العراقيين والعراقيات من أتباع الديانات الأخرى إلى خارج العراق، ونزوح أكثر من مليون ونصف المليون من البشر من مناطق سكناهم إلى مناطق أخرى من العراق، وموت مئات ألوف أخرى بسبب تلك الصراعات والنزاعات والاجتياح، ولاسيما من أتباع الديانات الأخرى من غير المسلمين.

ثامناً: لقد برز، منذ سقوط الدكتاتورية العاشمة في العام 2003 وإقامة النظام السياسي الطائفي، خطر جديد يمس وجود أتباع الديانات الأخرى بالعراق، وكما حصل في السابق بالنسبة للعراقيين والعراقيات اليهود؛ حيث خسر العراق ما يقرب من 130 ألف مواطنة ومواطن من اليهود، إذ إن أعدادهم قد تقلصت إلى حدود الربع بالنسبة للمسيحيين وإلى حدود النصف بالنسبة للإيزيديين، وإلى حدود الخمس بالنسبة للمندائيين. ولا يمكن إيقاف هذا الخطر ما لم يتحقق تغيير فعلي في نظام الحكم بالعراق وتغيير نوعي في وعي المسلمين والمسلمات إزاء أتباع الديانات والمذاهب بالعراق.

تاسعاً: إن الموقف الفكري والسياسي الخاطئ من جانب الحكومات العراقية المتعاقبة الذي عبر عن أيديولوجية إسلامية سياسية، سواء أكانت معتدلة أم متطرفة، من جهة، والادعاء بأن دين الدولة هو الإسلام بما يسمح بممارسة التمييز والتهميش والإقصاء من جهة ثانية، والممارسة الفعلية المناهضة لأتباع القوميات والديانات الأخرى من جهة ثالثة، قد أدت كلها إلى نشوء نزوع قومي وديني ومذهبي شديد، ثم تحول إلى نكرة ملموسة لدى الكثير من الناس ممن لم يكن يفكر بمسائل قومية أو دينية أو مذهبية. وأصبحت جمهرة غير قليلة من الناس تنتكر أو ترفض القومية التي كانت حتى الأمس القريب محسوبةً عليها، وتطالب اليوم اعتبارها قومية خاصة بها. إن هذه الظاهرة الجديدة لا يجوز إدانة المواطن أو المواطنة اللذين اتجها صوب التفكير بقضايا لم يفكرا بها من قبل، بل الإدانة يجب أن تتوجه صوب تلك الحكومات الشوفينية والطائفية التي مارست وما تزال تمارس سياسات شوفينية وطائفية دفعت بالناس للتفكير بهذه الوجهة.

## ثانياً: سبل معالجة التجاوز على حقوق المكونات الدينية والمذهبية بالعراق

تتبع المشكلات المعقدة لأتباع المكونات الدينية والمذهبية بالعراق من جانبين:

الأول: هو ديني ومذهبي ناشئ عن عدم الاعتراف فعلياً، رغم ما ورد في الدستور بحق أتباع الديانات والمذاهب في وجودهم بالعراق وممارساتهم لدياناتهم ومذاهبهم وطقوسهم الدينية، والتمييز الذي يواجهونه يومياً في دوائر الدولة أو في الشوارع أو من على المنابر أو في التلفزة والإعلام الحكومي والخاص.

الثاني: هو قومي، إذ غالباً ما تكون هذه المكونات الدينية ذات أصول قومية أخرى غير القومية العربية، وبالتالي فهم يتعرضون للتمييز القومي أيضاً.

وقد مرَّ العراق بفترات صعبة عانى أتباع المكونات الدينية والقومية الأخرى صوراً مرعبة من التمييز القومي والديني المضاعف والتي جننا على بعضها في هذه الدراسة المكثفة، إضافة إلى وقائع من عمليات الإبادة الجماعية.

إن معالجة هاتين المشكلتين، القومية والدينية، وما جاء في الاستنتاجات، يرتبط عضويًا بطبيعة نظم الحكم القائمة بالعراق، إذ شهد العراق حتى الآن شكلين من النظم السياسية، قومية محافظة، ومن ثم قومية متطرفة، ودينية يمينية مهيمنة ومتطرفة، في نهجيهما وسياساتيهما إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى وإزاء القوميات الأخرى. أي إن العراق لم يشهد نظاماً سياسية ديمقراطية وعلمانية ينظمها دستور مدني علماني ديمقراطي في حياته السياسية والاجتماعية عموماً، فيما عدا فترة قصيرة جداً برزت في أعقاب ثورة تموز 1958 وفي إطار دستور مؤقت، ثم تبخر الاعتراف والاحترام بأتباع الديانات والمذاهب الأخرى على وفق أسس ديمقراطية وعلمانية سليمة منذ العام 1963 حتى الوقت الحاضر. ولهذا يمكن استبعاد احتمال الوصول إلى علاقات إنسانية من جانب نظام الحكم السياسي الطائفي الراهن إزاء أتباع المكونات الدينية والقومية الأخرى، بما يبعد عنهم الشرور والكوارث التي تعرضوا لها في العقود المنصرمة، ولاسيما في أعقاب إسقاط الدكتاتورية البعثية الغاشمة في العام 2003 بحرب خارجية وبتحالقات دولية نظمتها وقادتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا خارج الأطر والأسس الشرعية الدولية، وأقامت على أنقاض ذلك النظام الشوفيني، نظاماً طائفيًا محاصصياً مستبدًا وممزقاً للوحدة الوطنية العراقية.

إن المعالجة الفعلية لهذه الأوضاع تستوجب دون أدنى ريب الخلاص من الشوفينية والطائفية السياسية في الحكم وفي المجتمع وفي التربية والتعليم والإعلام. وهذه المسألة تتطلب وجود نظام سياسي مدني ديمقراطي في دولة تعتمد العلمانية الديمقراطية وترفض بحزم ومسؤولية الربط بين الدين والدولة وبين الدين والسياسة، أي تحقيق الفصل التام بينهما. وإذا ما تحقق ذلك عندها يمكن وضع برامج فكرية وعملية لمواجهة الفكر القومي المتشدد والطائفي المتعصب في مختلف المجالات، ابتداءً من التربية الإنسانية في رياض الأطفال، ومروراً بالمدارس الابتدائية والاعدادية والكليات والجامعات والمناهج الدراسية، وفي المؤسسات والمنشآت والمعامل، وفي الإعلام والثقافة، وكذلك في التربية المنزلية. إنها عملية معقدة وطويلة

الأمد وترتبط عضويًا بالتحويلات التي لا بد من تحقيقها في البنية الاقتصادية والاجتماعية للاقتصاد والمجتمع العراقي، وهما بنيتان تعانين منذ أمد طويل من تخلف وتشوه شديدين يتجليان في وعي الإنسان وفي غياب عملية التنوير الديني والمذهبي والاجتماعي وهيمنة الفكر الديني المتخلف والرجعي المشوه لفكر الإنسان والمزيف لإرادته والناهب لحقوقه.

إن النظام الديمقراطي العلماني المنشود يعني جملة من الأمور المهمة، إضافة لما ذكر في أعلاه:

\* \* الاعتراف بمبدأ المواطنة الواحدة، الحرة والمتساوية، المواطنة المشتركة لجميع الناس، المتساوية في الحقوق والواجبات وأمام القانون، واحترام الهويات الفرعية دون أن يكون لأي منها اليد الطولى على بقية الهويات الفرعية، بعكس ما هو عليه الوضع الراهن بالعراق. فهوية المواطنة العراقية هي التي يجب أن تسود.

\* \* إن من واجب المسلمين والمسلمات بالعراق، دع عنك العالم الإسلامي كله، إجراء تغيير جذري في طريقة أو أسلوب تفكيرهم إزاء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى وعلاقتهم بهم. أي إن من واجب المسلمين والمسلمات الاعتراف بوجود آخرين في الوطن الواحد يؤمنون بديانات ومذاهب أخرى وينحدرون من قوميات أخرى ولهم لغات أخرى، كما لا بد من احترام خصوصيات هؤلاء بعيداً عن الإساءة لهم أو إلحاق الأذى بهم أو ممارسة التمييز بحقهم، فهم جميعاً مواطنون ومواطنات من درجة واحدة لا غير.

\* \* وضع قوانين ملزمة تحرم العنصرية والطائفية والتمييز القومي والديني والمذهبي والفكري أو الفلسفي، وتعاقب من يحاول إثارة الفتنة وإشاعة التمييز والصراع الديني والمذهبي والفلسفي أو القومي.

\* \* العراق وطن جميع ساكنيه، وليس لأحد فضل على الآخرين، بغض النظر ما إذا كان ينتمي لقومية أو دين بأكثرية أو أقلية سكانية، إذ لا يجوز أن يكون لهذا التباين في الكثرة أو القلة العددية التأثير، بأي شكل كان، على حق المواطنة والمساواة أمام القانون أو الحصول على امتيازات أو المعانة من التمييز أو أي صيغة سلبية أخرى.

\* \* إن الحوار والتفاهم والتضامن والاحترام المتبادل بين أتباع المكونات القومية والدينية والمذهبية أو الفكرية هو الأسلوب الأمثل الذي ينبغي أن يسود في العلاقات بين الجميع، وإدانة كل ما يخالف ذلك.

\* \* من واجب الحكومة العراقية أن تقدم الاعتذار لكل الذين عانوا من التمييز القومي أو الديني أو المذهبي أو بسبب الحروب التي شنتها النظم السياسية التي حكمت العراق. وإن لم يحصل فلا بد أن يحصل ذلك بعد التغيير المنشود الذي يفترض أن يحصل في نظام الحكم بالعراق.

\* \* إن من واجب نظام الحكم الديمقراطي إعادة الشرعية إلى الدولة العراقية، والتي يفترض أن تجد تعبيرها في عدد كبير من السياسات والإجراءات التي تشعر المواطن بأنه يعيش بين أهله وشعبه متساوٍ في الحقوق والواجبات ويمارس حريته الكاملة دون مضايقة من أحد، ويمتلك الحق في العمل والعيش الكريم ويستعيد الأرض التي فقدتها بسبب سياسات النزوح والتهجير والتغيير الديمغرافي، أو التعريب أو التكريد، أو أي نهج آخر يناهض لحقوق الإنسان وحقوق القوميات وأتباع الديانات والمذاهب.

\*\* كما لا بد من إعادة تعمير ما خربته الحرب وتعويض الناس وإعادة الاعتبار والتعويض لمن تعرض لأي شكل من أشكال التمييز والإساءة أو القتل والتعويق...الخ.

\*\* تأمين الحماية الضرورية والحازمة لأتباع الديانات والمذاهب من متطرفي الإسلام السياسي من شيعة أو سنة، إذ إن ما جرى لهم في السنوات المنصرمة لا بسبب غياب الحماية فحسب، بل وبسبب تأييد القوى الحاكمة وأحزابها السياسية لنهج التمييز والإقصاء والتهمير أو حتى القتل.

\*\* لا يمكن لبلد متعدد القوميات والديانات والمذاهب والأفكار أو الفلسفات أن يعيش بأمن وسلام وتضامن وتعاون واحترام متبادل في بلد يدعي أن الإسلام دين الدولة، ودين الأكثرية المسلمة، ولا يحترم اتباع الديانات الأخرى أو يمارس التمييز بين أبناء وبنات البلد الواحد. فلا بد من بناء دولة المواطنة الحرة والمتساوية والموحدة والمشاركة، دولة ديمقراطية علمانية ومجتمع مدني ديمقراطي حر وأن يحقق المساواة التامة بين الإناث والذكور.

\*\* يتطلب من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان أن تقف بوجه الممارسات المخلة بحقوق أتباع الديانات والمذاهب بالعراق وإدانتها واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمعاينة نظام الحكم والقوى والأحزاب والمليشيات التي تمارس مثل هذه السياسات، إضافة إلى حرمان العراق من أي مساعدة دولية حين لا يتصدى لمثل هذه الاتجاهات العدوانية.

\*\* إن إقامة النظام المدني الديمقراطي في دولة تفصل بين الدين والدولة يفترض أن يمارس سياسة اقتصادية واجتماعية تساهم في مكافحة التشوه والتخلف والريعية النفطية في الاقتصاد العراقي، ومحاربة البطالة والتشرد والفقر والتمييز المتسع في الدخل ومستوى المعيشة، وأن تعمل لنشر العدالة الاجتماعية بين المواطنين والمواطنين بغض النظر عن هوياتهم الفرعية.

## المراجع والمصادر

### الكتب والمواقع الإلكترونية

إبراهيم عباس، حقيقة العهدة العمرية.. والفرق بينها وبين {الشروط العمرية} «كشف المغيب من خطوطها وموقف المؤرخين منها، موقع المدينة، 2012/2/10.

أبرم شيبيرا، قوات الليفي العراقية في الوثائق البريطانية العسكرية، موقع عنكاوة، 2010/10/18.

أرشاك بودليان، "شهادات غربية عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية"، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.

أرشاك بودليان، شهادات غربية عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، سانا، دمشق 2016.

آمنة محمادي، فلسفة الدين الزرادشتية، موقع الحوار المتمدن، المحور: الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع العدد 4744، 2015/03/10.

أميل كوهين، مدارس الأليانس اليهودية في العراق، مؤسسة الحوار الإنساني، لندن، في 7 شباط/فبراير 2017.

أمين فرحان جيجو، القومية الإيزيدية جذورها - مقوماتها - معاناتها، بغداد، 2010.  
أمين متين، الكاكائيون: ماذا بعد تهجير الأقليات؟ نتظاهر أننا مسلمون ونريد إلغاء الديانة من الهوية، موقع ارفع صوتك، 2015/10/13.

أياد العطار، أبراج الصمت.. تنشر جثث الموتى لتأكلها النسور!، موقع كابوس، أخذ المقتطف بتاريخ 2014/05/21.

بدر الرحال، الأرمن تاريخ عريق بالعراق، موقع ستار تايمز، 2009/01/29

توفيق زرار، موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين، مجلة لالش. العدد 5 / 1995. دهوك.

جميل حنا، مذابح إبادة الآشوريين في هكاري، الحوار المتمدن، العدد 4472 بتاريخ 2014/06/03.

جي كلبرت براون، عميد عسكري، قوات الليفي العراقية 1915-1932، ترجمة الدكتور مؤيد إبراهيم الوندائي، ومراجعة رفيق صالح بنكه ي زين، السليمانية 2006.

حامد عبد الصمد، باحث في الإسلام، هل الإسلام مقتبس من الزرادشتية؟ ستصدم عندما تعرف الحقيقة عقائد وشرايع الإسلام مسروقة من الزرادشتية.. معقول!، youtube، بتاريخ 2018/04/11.  
خالد علوكة، تناسخ الأرواح، موقع الحوار المتمدن، محور العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، العدد 3890، في 2912/10/24.

خزعل الماجدي، جذور الديانة المندائية، مطبعة صفاء حسين الناصر، ط 1، 1997.

خليل عبد الرحمن، "أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، 2008.

الدكتور رمضان اسحق الزيان، روايات العهد العبرية - دراسة توثيقية. شبكة الدفاع عن السنة.

الدوري، عبد العزيز، دكتور، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 287/286.

الديانة الزرادشتية، موقع آرياي أم، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/21.

رشيد الخيون دكتور، الأديان والمذاهب في العراق: ماضيها وحاضرها، مركز المسبار، دبي، 2016.  
الزردشتية، موقع الميثولوجيا والتاريخ، (الآي 44 من جاتها ياسنا)، مدونة تعنى بعرض ودراسة الميثولوجيا والتاريخ والأديان،

الزردشتية تعود إلى كردستان بسبب التطرف الديني، موقع السومرية نيوز، بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2015.

زهير كاظم عبود، الزرادشتية، بغداد، دون ذكر دار النشر، 2015.

زهير كاظم عبود، الشبك، سلسلة كتب سرمد العربي، طبعة أولى، السليمانية، إقليم كردستان العراق، 2006.

- ساسانيون، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، أخذت المعلومات بتاريخ 2018/05/23.
- سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات الدينية في العراق، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بيروت-بغداد، 2015.
- سيار الجميل، دكتور، الأرمن العراقيون: الخصوصية والجاذبية والأسرار الحيوية، الحلقة الثالثة: دياسبورا وطن بلا بديل!، طيف اجتماعي عراقي حيوي، الموقع الإلكتروني للدكتور سيار الجميل، في 2010/10/31.
- سيار الجميل، دكتور، الأرمن العراقيون، موقع عنكاوة، 16-26 تشرين الأول/أكتوبر 2010.
- الشيخ الترميزة علاء النشمي، أسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية على موقع الهوية الآرامية، أخذ المقطف بتاريخ 2018/03/21.
- صباح كنجي، اسئلة عن الإيزيدية، موقع بحزاني، 2012/02/28.
- صباح كنجي، عن الاحصاء والمعلومات عن الإيزيدية والاقليات منذ تشكيل الدولة العراقية.. أوائل نيسان (2018).
- صبري المقدسي، الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية، موقع الحوار المتمدن، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد، 4083، في 2013/05/05،
- طه العاني، نشأة المدارس بالعراق/ شبكة زدني للتعليم، 8 شباط/فبراير 2015.
- عبد الجبار العتابي من بغداد، جدل في العراق حول تأسيس مجلس الديانة الزرادشتية، إيلاف، 2015/05/06.
- عربي فرحان الخميسي، المركز القانوني للصابئة المندائيين في العراق، الجمعية المندائية في المهجر، بتاريخ 21 نيسان/أبريل 2013.
- العزاوي، عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد مطبعة بغداد، منتصف الثلاثينات من القرن العشرين.
- عزيز سباهي، أصول المندائية (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، منشورات المدى، دراسات 18، ط 1، دمشق -1996.
- علي الوردي، دكتور، وعاظ السلاطين، دار كوفان-لندن، 1995.
- فانز الحيدر، الصابئة المندائيون والإرهاب عبر التاريخ، موقع اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، 7 شباط/فبراير 2013.
- فيليب سيرنج، رمزية العناصر الأربعة، ترجمة عبد الهادي عباس، موقع غاستون باشلار Gaston Bachelard.
- كاظم حبيب، الإيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دار نينوى، دمشق، 2017.
- الكنائس الأرمنية بالعراق، موقع أرتاك العربي للشؤون الأرمنية، 5 شباط/فبراير 2013.
- الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار هيفي، أربيل، ط 2، 2009.
- الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، ط 2، بغداد 2006.

- مارتن شو، الإبادة الجماعية، نقله إلى العربية محيي الدين حميدي، الطبعة العربية الأولى، الرياض، 2017.
- مجدي خليل، القضية الأرمنية بعد مائة عام من الإبادة، الموقع الإلكتروني للتنظيم الأرامي الديمقراطي"، 2017/1/1.
- مجدي خليل، القضية الأرمنية بعد مائة عام من الإبادة، الموقع الإلكتروني للتنظيم الأرامي الديمقراطي"، 2017/1/1.
- مجزرة سوريا، موقع Nala4U.com، 17 أيلول/سبتمبر 2016.
- محمد ياسين، فكرة عن تناسخ الأرواح وإمكانية التجسد من جديد، موقع أصوات مهاجرة، شؤون ثقافية، 2016/07/08.
- مشروع دستور اقليم كردستان - العراق، المجلس الوطني الكردستاني، بتاريخ 2006/09/24.
- منتديات برق، موقع على الإنترنت، أخذ الحديث بتاريخ 2016/8/6.
- موفق فتوح، دكتور. مسيحيو العراق عبر التاريخ، الجزء الأول والثاني. نشر في موقع منتديات كرمش لك. بتاريخ 2009/2/9.
- موقع رصيف 22، عشر حقائق حول الإبادة الجماعية.
- موقع سفارة جمهورية أرمينيا بالعراق، معلومات عامة عن الجالية، بتاريخ 2017/1/1.
- نافع البرواري، أحوال المسيحيين في عهد الخلفاء المسلمين، موقع عنكاوة، 2016/12/17.
- هوكر ظاهر توفيق، الكرد والمسألة الأرمنية 1877-1920. دار الفارابي - بيروت، ودار أراس - أربيل، إقليم كردستان العراق، 2014.

## الوثائق والتقارير

- أبستاق، موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا. 2018/05/21.
- اتفاقية منع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 1948/12/09، موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، اخذت المواد الخمسة من الاتفاقية بتاريخ 2017/08/17.
- التقرير السنوي عن حالة حقوق الإنسان في العراق لعام 2016 الصادر عن الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.
- تقرير خاص ليوسف محرم موجود في أرشيف د. كاظم حبيب).
- الدستور العراقي لسنة 2005.
- ديوان أوقاف الأديان المسيحية والإيزيدية والصابئة المندائية، العراق نصرت مردان 4 كانون الأول/ (2010).

مئرا، موقع المعرفة الإلكتروني، أخذ المقتطف بتاريخ 2018/05/17.

نص العهدة العمرية من كتاب لأبن القيم الجوزية "أحكام أهل الذمة".

هامبرسوم أغباشيان، ملخص عن "تاريخ الأرمن بالعراق"، رسالة خاصة وجهت من السيد أغباشيان إلى الكاتب تضمنت موجز تاريخ الأرمن في العراق، وهي محفوظة في أرشيف الكاتب بتاريخ 24 كانون الثاني/يناير 2017.

يحيى بن زكريا، دراشة أديهيا، مواعظ وتعاليم، بغداد، الطبعة الأولى، 2001م.

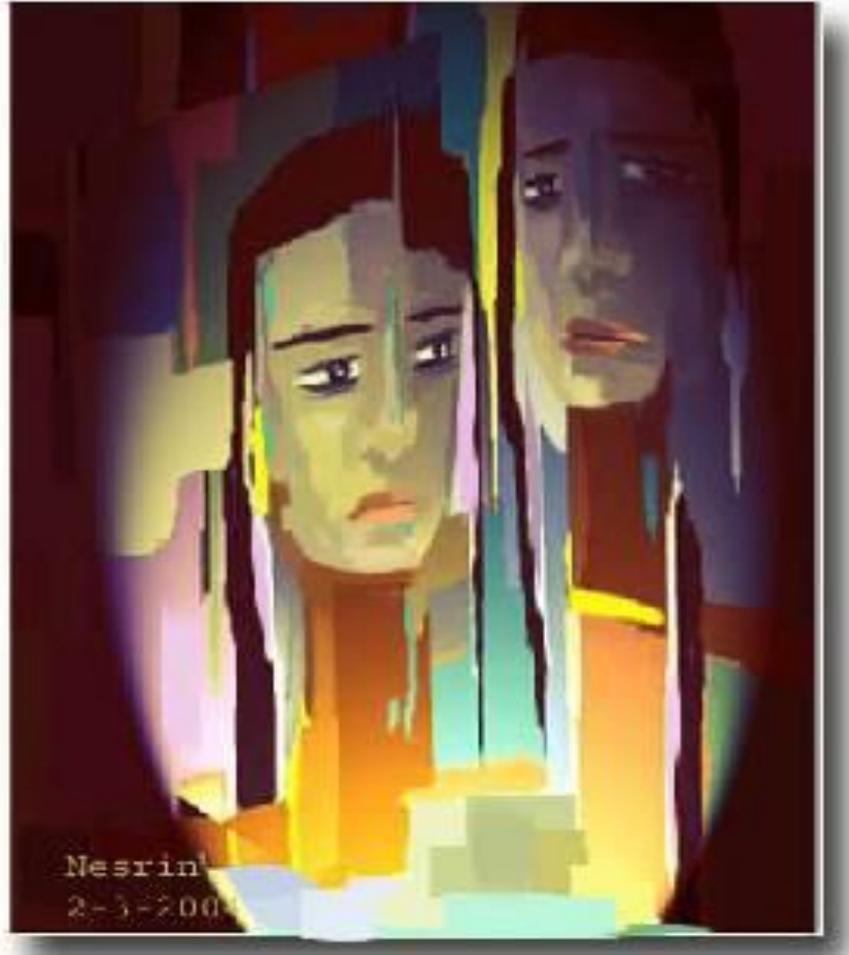
### كتب ومواقع بلغات أجنبية

Heiko Diadesopulus, Zoroaster: Urvater der Religion des Umbruchs, Philognosie, Wissen gestaltet die Welt, 08.09.2017

Henry Austin Layard, Ninevah and its Remains, John Murry, London 1849.

Mark Lidzbarski, Das Johannesbuch der Mandäer, Verlag von Alfred Töpelmann, Giesen 1915.

Zoroaster (ZOHR-oh-as-tar)(Avestan: Zaraθuštra). 2018/05/17، موقع المعرفة،



الفنانة التشكيلية السيدة نسرين حنا شابا